سلسلة الرحلة إلى الثقلين ٢٦



الشيعة
الجذور والبذور

تأليف

محمود جابر





مركز الأبحاث العقائدية

سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٢٦)

الشيعة

الجذور و البذور

تأليف

محمود جابر

مركز الابحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية :

● إيران ـ قم المقدسة ـ صفائية ـ ممتاز ـ رقم ٣٤
ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)
الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)
● العراق ـ النجف الأشرف ـ شارع الرسول (صلى الله عليه وآله)
جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله
ص . ب : ٧٢٩
الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)
● الموقع على الانترنت
www.aqaed.com:
● البريد الالكتروني : info@aqaed.com

الشيعة الجذور والبذور

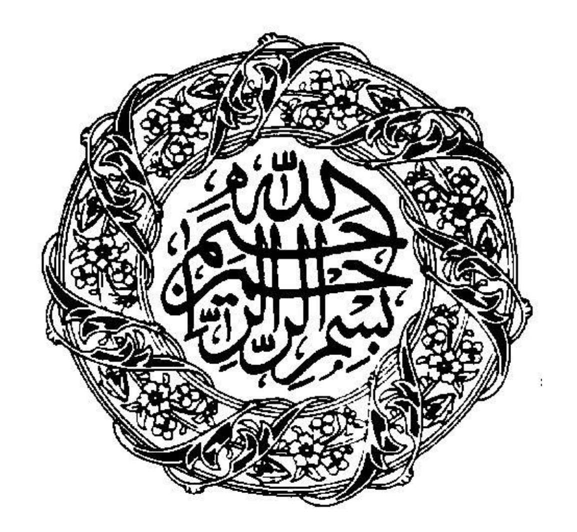
تأليف

محمود جابر

الطبعة الأُولى ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٣٠هـ

المطبعة: ستارة


بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المركز

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على خاتم

المرسلين محمّد وآله الغرّ الميامين

من الثوابت المسلّمة في عملية البناء الحضاري القويم ، استناد الأُمّة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة ، الأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدّي لمختلف التحدّيات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة .

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقّة والتأمّل ، نلحظ أنّ المرجعية الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة ومراتبها الرفيعة ، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهم السلام بأبهي صورها وأجلى مصاديقها .

هذا ، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي السيستاني

ـ مدّ ظلّه ـ هي السبّاقة دوماً في مضمار الذبّ عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة ، فخطت بذلك خطوات مؤثّرة والتزمت برامج ومشاريع قطفت وستقطف أينع الثمار بحول الله تعالى .

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من المشاريع المباركة الذي أُسس لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم‌السلام وتعاليمه الرفيعة .

ولهذا المركز قسم خاص يهتم بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهم‌السلام على مختلف الجهات ، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من نتاجات وأثار ـ حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي مَنّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم ـ إلى مطبوعات توزع في شتى أرجاء العالم .

وهذا المؤلَّف ـ الشيعة الجذور والبذور ـ الذي يصدر ضمن "سلسلة الرحلة إلى الثقلين" مصداق حيّ وأثر عملي بارز يؤكّد صحة هذا المدعى .

على أنّ الجهود مستمرة في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكلّ معتنقي المذهب الحقّ بشتى الطرق والأساليب ، مضافاً إلى استقرار واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في "موسوعة من حياة المستبصرين" التي طبع منها عدّة مجلّدات لحدّ الآن ، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف ، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته .

وختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكافة الإخوة الأعزاء في مركز الأبحاث العقائدية ، الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب ، ونخصّ بالذكر فضيلة الشيخ عبد الله الخزرجي الذي قام بمراجعة هذا الكتاب وتصحيحه ، والحمد لله ربّ العالمين .

محمّد الحسّون

مركز الأبحاث العقائديّة

٢٠جمادى الأُولى ١٤٢٨ هـ

site.aqaed.com/Mohammad

Muhammad@aqaed.com

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الهادي الأمين سيّد ولد آدم أجمعين وعلى آله المطهّرين وصحبه الميامين .

أمّا بعد ، تعالج هذه الدراسة قضية من أخطر القضايا العقائدية ، بل هى العقبة الكؤود والتي تتدغدغ عندها العامّة ، ويخشاها الخاصّة ، وتؤجر لها الأقلام ، ويزرع في حقلها الألغام من قديم الزمان إلى شمس الغد القادم .

ذات ليلة أهدى لي صديق موسوعة عن الشيعة الاثني عشرية (الجعفرية) لكاتب مصري الجنسية سلفي المنهج (وهابي) يشغل منصب أكاديمى مرموق في كل من جامعتي الأزهر والخليج ، وقد أهملت هذه الموسوعة وقتاً من الزمن لعلمي المسبق بما سوف يقوله ، وأنّ كل ما فيها هو اعتقادي وأكثر ، وأنّ ما يمكن أن أستفيد به هو أسلوب العرض وطريقة التناول ، وحتّى هذه المساحات الفكرية والعقائدية لم أكن مهتماً بها في ذلك الحين لانشغالي في إتمام بحثي عن الحركات الإسلامية في مصر والوطن العربي ، وكنت حريصاً على إتمام دراسة تتناول هذا الخصوص ، غير أنّي ذات ليلة بدأت أتصفّح الكتاب وأجوب أجزاءه إلى

نهايتها وخرجت بملحوظة أولية ، وهي أنّ الكتاب غير مكتمل البحث ، وأنّ الكاتب غير ممتلك لأدوات البحث العلمي في هذه الموسوعة ، وأنّه يفتقد لأهم ما يجب أن يتحلّى به الكاتب أو المؤرخ ، وهو الحياد العلمي ، غير أنّي وحتّى أعطي الرجل حقّه من الأستاذية أعدّت قراءة الموسوعة بشي من الأناة والتريّث ، فربما تكون ملحوظتي السابقة خطأ ، وخرجت بالآتي :

ـ عدم اتّفاق المقدمات مع النتائج غالباً .

ـ تأويل النص المقتبس بما لا يحتمله ، وبما يخرجه من حدود التأويل .

ـ إعلان النتائج قبل إثارة القضية ، وقبل أن يضع الأسباب ، وكأنّه سوف يأتي بالنتائج مهما كانت الأسباب (!!) .

ــ إنّ الكاتب يناقش هذه الموضوعات دون رفق ، ودون التحلّي بروح الأخوّة ، والحرص على وحدة الأمّة ، فالرجل يخرجهم من الملّة تارة ، ويجعلهم شراً من اليهود أُخرى ، وأصحاب حقد على أهل التوحيد ، وهلمّ جرّا إلى نهاية الكتاب .

وخلال المطالعات والمشاهدات اليومية لوسائل الإعلام ومحطّات البث المرئي أعجبني مقاومة شعب الجنوب اللبناني ، وحزب الله ، وقدرتهم الفائقة على دحض العدو الصهيوني .

وأعترف أنّ هذا ما أثلج صدري وكثير من الموحدّين ، ولكن كيف يتسق هذا مع ما نعلمه؟ كيف لمن هدفهم هدم الإسلام أن يمنّ الله عليهم بهذا النصر العظيم؟!

ثمة خطأ في المسألة ، فدرجت أبحث عن كل ما هو مكتوب عن هذه الفرقة ، ويا حبّذا لو كانت بأقلام الشيعة الأقحاح ، بيد أنّ البحث استمر أياماً وشهوراً وسنواتاً حتّى وفّقني الله إلى ما أبتغي ، وقد توفّر لديّ ما يعين الباحث على ابتداء بحثه فاستعنت بالله على إنجاز ما تحقق ، وهذا كتاب "الشيعة البذور والجذور" .

١ ـ قد يقفز إلى الأذهان من العنوان أنّه يبحث فى كل بذور وجذور التشيع ، ولكن أبعد القارىء عن هذا التصوّر ، وأقول : إنّني لم أستوعب كل ما للتشيع من جذور وخصائص في هذا الكتاب ، وإنّما تعرّضت لإيضاح أمور أعتقد أنّها غائبة عن معظم مسلمي مصر والأقطار الإسلامية السنية المغلقة ، ويرجع ذلك لما يشوب العلاقات السياسية بين هذه الدول وإيران من كدر ، وما اختزلته الذاكرة العامة لتاريخ الصراع السياسي بين السنة والشيعة .

٢ ـ بيد أنّ هذه الدراسة لم تكن الوحيدة التي تتناول موضوع الشيعة من حيث الأصول بل هناك كتابات سابقة كثيرة أكثر عمقاً وأكثر استيعاباً للموضوعات المختلفة، ولكنّي أتصوّر أنّني عالجت هذا الموضوع

بأسلوب أكثر اختلافاً عن الأنماط الأخرى ظنّاً منّي أنّه أقرب الأساليب إلى القارىء ، فإن أصبت فمن الله الذي هداني لهذا ، وإن أخطأت فما أردت إلاّ الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلاّ بالله .

٣ ـ سيجد القارىء في صفحات هذا الكتاب بعض الآلام التي خلقتها جروح الماضي ، والتي مازالت لم تلتئم بعد ، ولذلك أرجو منك عزيزي القارىء عدم التشنج ؛ وذلك لأنّ الجروح عادة ما يتبعها الآلام ، ولكن بشي من الصبر والعلاج قد تشفى الجروح بإذن الله .

وقد يرى البعض أنّ الزمام قد انفلت منّي فى مواضع ، ولذلك كل ما أرجوه أن نتبادل الأماكن ، ولتعلم أنّ السير في مثل هذه الضروب محفوف بالصعاب ، وما علينا إلاّ أن نضبط أعصابنا ، ولتعلم أيضاً أنّ ضبط الأعصاب في تلك المواطن أمر ليس بالهيّن إلاّ من عصمه الله .

٤ ـ قد يقول قائل: لماذا تصر على السير في مثل هذه الضروب التي لا تجني منها غير الآلام ، وليس منها فائدة إلاّ اجترار الماضي دون علاج؟ وأقول : إنّ انهزاميّتنا وخوفنا من نكت تلك الجروح هي التي جعلتنا نتأخّر ويتقدّم غيرنا ، فهل عسانا نفيق لتعود أمّتنا كما أرادها ربّنا "خير أمّة أخرجت للناس" ؟!

٥ ـ ومما يهون الخطب أنّ مواطن الخلاف بين المسلمين أقل بكثير من مواطن الوفاق ، رغم محاولات البعض أن يجعلها أكثر بحيث تصل

إلى التباين، ولكن بشيء من التروّي والتأمّل ترتدّ هذه الأمور إلى نصابها، ونعرف أنّ اختلاف الفرق الإسلامية لابد أن يكون في دائرة الفكر ، وأن لا ينسحب إلى ما وراء ذلك ليصل إلى الشقاق والتناحر ، وأنّ وحدة الأمّة وائتلافها أصل أصيل من أصول الإسلام ، ولا يجب أن ينقض هذا الأصل بمسائل اجتهادية وظنّية ؛ لأنّنا بذلك نخالف صريح الدين .

إنّ الواجب يحتّم على علمائنا خاصّة ، وعلى أصحاب الفكر وأرباب الأقلام عامّة أن لا يتّخذوا من العلم ستاراً للغيبة والنميمة ، وأكل أعراض إخوانهم بالباطل ، فالله ارتضى للمسلمين الوحدة ، والرسول يشبّه المسلمين بالجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، فعلينا أن نبتعد عن الرعونة والاندفاع ، وهذا أخلق بنا .

٦ ـ كل ما أرجوه منك أيّها القارىء الكريم أن لا يتبادر إلى ذهنك أنّني أدعو لفرقة بعينها ، أو أذمّ فرقة دون غيرها ، فهذا ما لا أقصده ، وأعتبره مصادرة على فكرة الكتاب وموضوعه ، ولكن ما قصدت إلاّ قرع الفكر بفكر مثله ، فإن تظن أنّك أنت وقومك الناجين ، فهناك من يدّعي ذلك ، وهذه أدلّتهم من كتاب الله وسنّة رسوله .

جعلتها دعوة خالصة لله حتّى يدرس المسلمون بعضهم البعض بروح علمية طارحين عن كواهلهم تلك الخلفيّات المشوّهة التي كانت سبباً

في تمزيق شمل المسلمين ليجني غيرنا ثمـار فرقتنـا ، وتـصبح الأمّـة كاليتيم على مائدة اللئيم .

فأسأل الله تعالى أن يهيّيء لأمّتنا أمر رشد يعزّ فيه وليّه ويذلّ فيـه عـدوّه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

المؤلّف

الفصل الأوّل
خلفاء الرسول

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الميامين ، وبعد .

خلق الله تعالى الخلق متمايزين في صفاتهم الخلقية من الطول والقصر والصحة والسقم والنحافة والبدانة وغيرها ، وتلك سنّة الله تعالى في خلقه وكونه .

إنّ أمّة الإسلام التي بعث فيها رسول الله ﷺ أمة عالمية، ودعوته للناس كافة، وهذا الكيان الضخم ليس أنموذجاً متكرراً في البشر ، وليس بالكيان المتكلّس في الفهم والوعي ، ولكن كيان متمايز حتّى في حياة النبي ﷺ ، فمن أصحابه من طفق في السوق يبيع ويشتري [١] ، ومنهم من لازم النبي ﷺ على العلم والصحبة ، ومنهم من أحبّ الرسول ﷺ حبّاً شديداً فوق نفسه [٢] ، ومنهم من كان وسطاً بين العلم والكسب [٣] ،

---

[١] منهم عبد الرحمن بن عوف الذي آخى النبى(صلى الله عليه وآله) بينه وبين سعد بن الربيع الخزرجى ، فقال له : إنّ لى زوجين فانظر أيّهما شئت حتّى أطلّقها لتتزوجها وأشاطرك نصف مالى ، فقال : بارك الله لك فى مالك وأهلك ، ولكن دلّونى على السوق . تاريخ الإسلام للذهبي ٢ : ١٠٤ .

[٢] صهيب بن سنان الرومى منعته قريش بأن يلحق بالرسول فى هجرته ، فقال لهم : أرأيتم إن تركت مالى ، أمخلّون أنتم سبيلى؟ قالوا : نعم ، فترك لهم ماله أجمع ، فبلغ ذلك النبي(صلى الله عليه وآله) ، فقال : ربح صهيب .. المرجع السابق ٢ : ٢٣٥ .

[٣] من هؤلاء أبو بكر وعثمان والزبير وغيرهم .

ومنهم من فهم إشارات الرسول ﷺ وتلميحاته ، ومنهم من كان وعاء للعلم ، وكلّهم من رسول الله ﷺ أخذ ، وهذه قسمة الله تعالى في خلقه ، وكذلك ميّزهم وعدّدهم .

بيد أنّه بعد وفاة الرسول ﷺ بدأت الأُمّة مرحلة أُخرى من التمايز الخُلقي الذي جعل فئة من الأمّة تتباعد رويداً رويداً ، غير أنّ الإسلام يتّسع لكل هؤلاء على اختلافهم وتمايزهم .

وبموت النبي ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ينظرون في أمر الأمّة ، ولمن تؤول قيادة الأمّة ، حتّى أصبح أبو بكر خليفة ، وكان هذا موضع خلاف ، وفيه ثلاثة آراء :

الرأي الأول : أنّ النبي استخلف أبو بكر بالنص الخفي أو الجلي .

ومن ذلك ما روي عن جبير بن مطعم قال : "أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه ، فقالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك ﷺ كأنّها تقول : الموت . قال ﷺ : "إن لم تجديني فأتي أبا بكر" .

وفي الصحيحين عن عائشة عن أبيها رضي الله عنهما ، قالت : "دخل على رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدىء فيه ، فقال : ادعي لي أباك وأخاك حتّى أكتب لأبي بكر كتاباً ، ثمّ قال : "يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر" .

وفي رواية "فلا يطمع في هذا الأمر طامع" .

وفي رواية قال : "ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي

بكر كتاباً لا يختلف عليه ، ثمّ قال : معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر" .

وروي عن عائشة رضي الله عنها ، أنّها سئلت من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف؟

والظاهر ـ والله أعلم ـ أنّ المراد أنّه لم يستخلف بعهد مكتوب ، ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر ، بل قد أراد كتابته ثمّ تركه ، وقال : "يأبى الله والمسلمون إلاّ أبا بكر" . فكان هذا أبلغ من مجرد العهد ، فإنّ النبي ﷺ دلّ المسلمين على استخلاف أبي بكر ، وأرشدهم إليه بأمور متعددة ، من أقواله وأفعاله ، وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك ، حامد له ، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً ، ثمّ علم أنّ المسلمين يجتمعون عليه ، فترك الكتاب اكتفاءً بذلك ، ثمّ عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس ، ثمّ لما حصل لبعضهم شك ، هل ذلك القول من جهة المرض؟ أو هو قول يجب اتّباعه؟ ترك الكتابة اكتفاءً بما علم أنّ الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر . فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمّة لبيّنه بياناً قاطعاً للعذر ، لكن لمّا دلّهم دلالات متعددة على أنّ أبا بكر المتعيّن ، وفهموا ذلك ، حصل المقصود [١] .

الثاني : أنّ النبي ﷺ نص على خلافة علي بن أبي طالب بالنص الصريح الواضح المتواتر في أكثر من موضع .

---

[١] ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص٤٧٢ ـ ٤٧٤ .

منها : ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال : ″قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة ، فحمد الله ووعظ وذكره ، ثمّ قال : أمّا بعد ، ألا أيها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله .. ثمّ قال : وأهل بيتي″ [١] .

الثالث: الشورى العامّة وعدم الاستخلاف، وأنّ الأمر شورى بين المسلمين .

ذهب إلى ذلك جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية ، وأنّ خلافة أبي بكر ثبتت بالاختيار ، وكذا ذهبت السيّدة عائشة .

واستدل البعض : بطلب سعد بن عبادة البيعة لنفسه ، وكذلك الحباب ابن المنذر حينما تقدّماً كلاًّ منهما لطلب البيعة والخلافة في السقيفة .

احتجّ الذين قالوا لم يستخلف ، بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما ، أنّه قال : ″إن أستخلف ، فقد استخلف من هو خير منّي ، يعني أبا بكر ، وإن لا أستخلف ، فلم يستخلف من هو خير منّي ، يعني رسول الله ﷺ ، قال عبد الله : فعرفت أنّه حين ذكر رسول الله ﷺ غير مستخلف [٢] .

ولكن الشيعة رفضوا القول بالشورى وعدم الاستخلاف ، وذهبوا إلى :

---

[١] صحيح مسلم ٢ : ١٢٢ ـ ١٢٣ .

[٢] ابن أبي العز الحنفي ، مرجع سابق ، ص٤٧٤ .

أ ـ أنّ النبي كان إذا أراد الذهاب في سفر لا يترك المدينة دون خليفة عليها ولو كان سفره يوماً واحداً ، فكيف يترك أمر الناس بعده دون راع .

ب ـ من الثابت أنّ الشريعة الإسلامية تفرض الوصية على المسلم حتّى في بعض الميراث البسيط ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوف حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾[1] .

فكيف يترك الرسول صلى الله عليه وآله هذا الأمر بدون أن يوصي به والحال أنّ استقرار الأمّة متوقف على ذلك ، وبدون ذلك يؤول الأمر إلى تنازع[2] .

يقول ابن حجر الهيتمي في "الصواعق المحرقة" إنّ حديث الغدير صحيح لا مرية فيه ، وطرقه كثيرة جدّاً ، ومن ثمّ رواه ستة عشر صحابياً ، وفى رواية لأحمد أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً ، وشهدوا به لعلي لمّا نوزع أيام خلافته ، وكثير من أسانيده صحاح وحسان ، ولا يلتفت لمن قدح في صحته ولا لمن ردّه"[3] .

وفي الخصائص للنسائي عن زيد بن أرقم قال : "لما رجع النبي صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ، ونزل في غدير خم ، أمر بدوحات فقمن ، ثمّ قال : كأنّي دعيت فأجبت ، وإنّي تارك فيكم الثقلين : أحدهما أكبر من الآخر ،

---

[1] البقرة : ١٨٠ .

[2] د. الشيخ أحمد الوائلي ، هوية التشيع ، ص١١٠ .

[3] ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة ، ص٤٢ .

كتاب الله وعترتى أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ثمّ قال : إنّ الله مولاي وأنا وليّ كل مؤمن ، ثمّ أخذ بيد علي ﵁ فقال : من كنت وليه ، فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، فقلت لزيد : سمعته من رسول الله ﷺ قال : نعم ، وإنّه ما كان في الدوحات أحد إلاّ ورآه بعينه وسمعه بأذنيه" [1] .

وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم عن زيد بن أرقم قال : "لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ، ونزل غدير خم أمر بدوحات فقمن ، فقال : كأنّي دعيت فأجبت ، وإنّي تارك فيكم الثقلين : أحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ثمّ قال : إنّ الله عزّ وجل مولاي وأنا وليّ كل مؤمن ، ثمّ أخذ بيد علي ﵁ ، فقال : من كنت وليه ، فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه" .

يقول الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد أخرجه الحافظ الذهبي في تلخيصه على المستدرك [2] .

وفي كنز العمال للمتقي الهندي "أنّ الله مولاي وأنا وليّ كل مؤمن ، من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه" . وأخرج هذا الحديث عن جابر وأبي سعيد وابن عباس وزيد بن أرقم

---

[1] النسائي ، الخصائص ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

[2] الحاكم النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٠٩ .

وأبي هريرة .

ويقول الشهرستاني في الملل والنحل : "ومثل ما جرى في كمال الإسلام وانتظام الحال حين نزل قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[١] .

فلمّا وصل غدير خم أمر بالدوحات فقمن ، ونادوا : الصلاة جامعة ، ثمّ قال عليه الصلاة والسلام وهو على الرحال : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا هل بلّغت؟ ثلاثاً"[٢] .

إنّ حديث الغدير من الأحاديث المتواترة ، وقد رُوي من قبَل الصحابة والتابعين وعلماء الحديث في كل قرن بصورة متواترة ، فقد نقل حديث الغدير ورواه (١١٠) من الصحابة ، و(٨٩) من التابعين ، و(٣٥٠٠) من العلماء والمحدّثين ، وفي ضوء هذا التواتر لا يبقى مجال للشك في أصالة وصحة هذا الحديث ، كما أنّ فريقاً من العلماء ألّفوا كتباً مستقلة حول حديث الغدير .

وتأسيساً على ما سبق نسوق تلك المحاورة التي دارت بين عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس : "كان الخليفة الثاني يأنس بابن عباس

---

[١] المائدة : ٦٧ .

[٢] الشهرستاني ، الملل و النحل ١٦٣:١

ويميل إليه كثيراً ، فقال له يوماً : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها هل بقي في نفس عليّ شي من الخلافة . قال ابن عباس : قلت : نعم ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله في أمره ذروة من قول لا تثبت حجة ولا تقطع عذراً ، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما ، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقا وحيطة على الإسلام فعلم رسول الله أنّي علمت ما في نفسه فأمسك" .

وما جاء في البخاري والطبقات : "أنّ النبي ﷺ قال في مرضه الأخير : عليَّ بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً ، فقال عمر : إنّه يهجر ، وقد غلب عليه الوجع" [1] .

وفي النهاية لابن الأثير في مادة (هجر) [2] .

وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء :

أوصى النبي فقال قائلهم　　　قد راح يهجر سيّد البشر
لكن أبا بكر أصاب ولم　　　يهجر وقد أوصى إلى عمر

ـ موقف علي بن أبي طالب :

ثمّ إنّ علي بن أبي طالب أُتي به إلي أبي بكر ، وهو يقول : أنا عبد الله ، وأخو رسوله ، فقيل له : بايع أبا بكر ، فقال: أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم ، وأنتم أولى بالبيعة لي ، أخذتم هذا الأمر من الأنصار ،

---

[1] البخاري ، صحيح البخاري ٥ : ١٣٧ ، طبقات ابن سعد ٤ : ٦١ .

[2] ابن الأثير ، النهاية ٥ : ٢٤٦ .

واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ ، وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً (!!) ، ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكان محمّد منكم (؟!) ، فأعطوكم المقادة ، وسلّموا إليكم الإمارة ، وأنا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً ، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون ، وإلاّ فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون . فقال عمر : إنّك لست متروكاً حتّى تبايع ، فقال له علي : احلب حلباً لك شطره ، واشدد له اليوم يردده عليك غداً . ثمّ قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه ، فقال له أبو بكر : فإن لم تبايع فلا أكرهك . فقال أبو عبيدة بن الجراح لعلي (كرّم الله وجهه) : يا ابن عم ، إنّك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور ، ولا أرى أبا بكر إلاّ أقوى على هذا الأمر منك ، وأشد احتمالاً واضطلاعاً به ، فسلّم لأبي بكر هذا الأمر ، فإنّك إن تعش ويطل بك البقاء ، فأنت لهذا الأمر خليق وبه حقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال علي (كرّم الله وجهه) : الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمّد في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه ، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به ، ونحن أحق بهذا منكم ، ما كان فينا القارىء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول

الله ، المطلع بأمر الرعية ، الدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله إنّه فينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً .

ـ موقف السيّدة فاطمة الزهراء :

ما دار بين أبي بكر وحبيبة رسول الله فاطمة :

"إنّ أبا بكر تفقّد قوماً تخلّفوا عن بيعته عند علي بن أبي طالب ، فبعث إليهم عمر ، فجاء فناداهم ، وهم في دار علي ، فأبوا أن يخرجوا ، فدعا بالحطب ، وقال : والذي نفس عمر بيده ، لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها ، فقيل له : يا أبا حفص ، إنّ فيها فاطمة ، فقال : وإنْ ، فخرجوا فبايعوا إلاّ علياً فإنّه زعم أنّه قال: حلفت أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتّى أجمع القرآن ، فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها ، فقالت : لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا ، وقطعتم أمركم بينكم ، لم تستأمرونا ، ولم تردّوا لنا حقاً .

فأتى عمر أبا بكر ، فقال له : ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟

فقال أبو بكر لقنفد ـ وهو مولى له ـ: اذهب فادع لي علياً ، قال : فذهب إلى علي ، فقال له : ما حاجتك؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله ، فقال

عليّ : لسريع ما كذبتم على رسول الله . فرجع فأبلغ الرسالة ، قال : فبكى أبو بكر طويلاً . فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة ، فقال أبو بكر ﵁ لقنفد : عد إليه ، فقل له : خليفة رسول الله يدعوك لتبايع ، فجاءه قنفد ، فأدّى ما أمر به ، فرفع علي صوته فقال : سبحان الله؟! لقد ادّعى ما ليس له ، فرجع قنفد ، فأبلغ الرسالة ، فبكى أبو بكر طويلاً ، ثمّ قام عمر ، فمشى معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة ، فدقّوا الباب ، فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها : يا أبت يا رسول الله ، ماذا لقينا من بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ، فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها ، انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تتصدّع ، وأكبادهم تنفطر ، وبقي عمر ومعه قوم ، فأخرجوا علياً ، فمضوا به إلى أبي بكر ، فقالوا له : بايع ، فقال: إن أنا لم أفعل فمه؟ قالوا : إذاً والله الذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك ، قال: إذاً تقتلون عبد الله وأخا رسوله . قال عمر: أمّا عبد الله فنعم ، وأمّا أخو رسوله فلا ، وأبو بكر ساكت لا يتكلّم ، فقال له عمر ، ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال : لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه ، فلحق عليّ بقبر رسول الله ﷺ يصيح ويبكي ، وينادي : يا ابن أم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .

فقال عمر لأبي بكر (رضى الله عنهما) : انطلق بنا إلى فاطمة ، فإنّا قد أغضبناها ، فانطلقا جميعاً ، فاستأذنا على فاطمة ، فلم تأذن لهما ، فأتيا

علياً فكلّماه ، فأدخلهما عليها ، فلمّا قعدا عندها ، حوّلت وجهها إلى الحائط ، فسلّما عليها ، فلم ترد عليهما السلام ، فتكلّم أبو بكر ، فقال: يا حبيبة رسول الله ، والله إنّ قرابة رسول الله أحبّ إليّ من قرابتي ، وإنّك لأحبّ إليّ من عائشة ابنتي ، ولوددت يوم مات أبوك أنّي مت ، ولا أبقى بعده ، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله إلاّ أنّي سمعت أباك رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة ، فقالت : أرأيتكما إن حدّثتكما حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا : نعم . فقالت : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : رضا فاطمة من رضاي ، وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحبّ فاطمة ابنتي فقد أحبّني ، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني؟ قالا : نعم ، سمعناه من رسول الله صلّى الله عليه وآله قالت : فإنّي أشهد الله وملائكته أنّكما أسخطتماني وما أرضيتماني ، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه ، فقال أبو بكر : أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة [1] .

ـ موقف العباس عمّ النبي صلّى الله عليه وآله :

استشار أبو بكر المغيرة بن شعبة في أمر علي ، فأشار عليه أن يجعل للعباس وولده في هذا الأمر نصيب . فذهب أبو بكر وعمر بن الخطاب

---

[1] ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ١ : ١٣ ـ ١٤ .

وأبو عبيدة بن الجراح والمغيرة بن شعبة ، ودار بينهم حوار ، فتكلّم العباس : – بعد أن سمع منهم – فحمدالله و أثنى عليه ، ثمّ قال : إنّ الله بعث بعث محمّداً كما زعمت نبياً ، وللمؤمنين ولياً ، فمنّ الله بمقامه بين أظهرنا حتّى اختار له ما عنده ، فخلّى على الناس أمرهم ليختاروا لأنفسهم ، مصيبين للحق ، لا مائلين عنه بزيغ الهوى ، فإن كنت برسول الله طلبت فحقنا أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين طلبت ، فنحن منهم متقدّمون فيهم ، وإن كان هذا الأمر إنّما يجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنّا كارهين ، فأمّا ما بذلت لنا فإن يكن حقاً لك ، فلا حاجة لنا فيه ، وإن يكن حقاً للمؤمنين فليس لك أن تحكم عليهم ، وإن كان حقنا لم نرض عنك فيه ببعض دون بعض ، وأمّا قولك إنّ رسول الله منّا ومنكم ، فإنّه قد كان من شجرة نحن أغصانها ، وأنتم جيرانها [1] .

عمربن الخطاب والانقلاب المنهجي :

والثابت من التاريخ أنّ علياً والناس قد بايعوا أبا بكر بعد أن رحلت فاطمة حبيبة رسول الله ﷺ وقد ساس أبو بكر الناس وفقاً لاتفاق السقيفة ، فلمّا دنا أجله جعل الأمر بعده في عمر بن الخطاب ليفري بالأمّة فرياً عبقرياً ، حتّى طعنه أبو لؤلؤة ، فأوصى بالأمر بعده للستة الذين قبض رسول الله وهو راض عنهم ، كما يقال !

---

[1] ابن قتيبة ، مرجع سابق ١ : ٢١ .

وهناك أكثر من نقطة ممّا يجعل المؤرّخ الموضوعي أن يشكك في حدث الاغتيال والوصية .

أوّلاً : عنصر الوقت . أعتقد أنّه لم يكن متوفّراً أمام الخليفة ليشكّل مثل هذا المجلس .

وثانياً: رأي الخليفة فى بعض الستة الذين انتدبهم لهذه المهمة لم يكن رأياً إيجابياً .

وثالثاً : تركيبة المجلس بحد ذاتها تورث الشك .

ورابعاً : الدور البارز المفتعل لعبد الرحمن بن عوف وكأنّه هو الذي يوجّه كل حركة المجلس .

وبدا منذ اللحظة الأولى يخطط لإبعاد علي ومجي شخصية يستطيع من خلالها السيطرة على الوضع أو أن يمارس نفوذاً فى ظل الخليفة القادم ، ويدعو في ذلك الآخرين باستثناء سعد بن أبي وقاص الذي تنازل لعلي ، وبالتالي ممّا يعزز هذا الشك أنّ الذين أيّدوا عثماناً تقاضوا الثمن بعد ذلك ، أولئك الذين كان الخليفة عمر بن الخطاب يفرض عليهم نظاماً صارماً وهو الإقامة شبه الجبرية في المدينة حتّى لا يستغلّوا وجودهم في مواقع قيادية لتأسيس نفوذ في المناطق المفتوحة حديثاً ، وفجأة أصبح هؤلاء يملكون مزارعاً وضياعاً وأموالاً طائلة إلى غير ذلك ٠

فأعتقد أنّ اغتيال عمر بن الخطاب كان مؤامرة من قبَل فئة من الناس ، خصوصاً الفئة الطارئة على الإسلام ، والتي يمكن أن نتّهمها دون صعوبة أنّها ضالعة في اغتيال عمر بن الخطاب ٠

وليس مصادفة أن يتمّ اغتيال شخصية على مستوى الخليفة عمر بن الخطاب ، وأن يبرر الاغتيال بذرائع ساذجة [١] ، وأعتقد أنّ ذلك مجرد تبرير رسمي لهذا الاغتيال ليس أكثر .

وهناك ملف آخر يتعلّق بقيام ابنه عبيد الله بقتل متّهمين ، وأعتقد أنّهم ممن قتلوا أبيه ، والجملة التي تفوّه بها مهدداً ـ لأقتلنّ أناساً ممن شارك في دم أبي ـ شاهدٌ على ذلك .

وبموت أبي لؤلؤة ذهب سرّه معه .

ولقد حاول عبد الرحمن بن عوف أن يقنع الزبير وسعد بالبيعة لعثمان ، فقال سعد: إن اخترت عثمان فهذا أحبّ إليّ ، وقال الزبير : إنّه يؤيّد علياً .

ثمّ نادى ابن عوف علياً فناجاه طويلاً ، وانصرف الإمام علي عنه ،

---

[١] قال ثابت البناني عن أبي راجح : كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغلّه كل يوم أربعة دراهم ، فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين إنّ المغيرة قد أثقل عليّ فكلّمه ، فقال : أحسن إلى مولاك ، ومن نية عمر أن يُكلّم المغيرة فيه ، فغضب وقال : يسع الناس كلهم عدلك غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً وشحذه وسمّه ، تاريخ الإسلام ، ١٠٩/٢ .

فدعا عثمان فناجاه حتّى الصباح ، فلمّا صلّى بهم صهيب الصبح ، جمع عبد الرحمن أهل الشورى الخمسة ، ودعا أمراء الأجناد وبعث إلى المهاجرين الموجودين بالمدينة ، وأهل السابقة والفضل من الأنصار حتّى امتلأ بهم المسجد ، فقال عبد الرحمن : "أيّها الناس ، إنّ الناس قد أحبّوا أن يرجع أهل الأمصار إلى أمصارهم وقد عرفوا مَن إمامهم ، فأشيروا عَلَيّ" .

فقال عمار بن ياسر : "إذا أردت ألاّ يختلف المسلمون فبايع علياً" .

فقال المقداد : "صدق عمار . إن بايعت علياً قلنا : سمعنا وأطعنا" .

وقال ابن أبي سرح : "إذا أردت ألاّ تختلف قريش فبايع عثمان" .

فقال عمار لابن أبي سرح : "متى كنت تنصح المسلمين؟" .

وتكلّم بنو هاشم وبنو أمية ، وأوشكت أن تحدث بينهما شحناء ، فقال عمار : "يا أيها الناس إنّ الله أكرمنا بنبيه ، وأعزّنا بدينه ، فأنّى تصرفون هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم؟" .

فقال رجل من بني مخزوم : "لقد عدوت طورك يا ابن سمية .

وأوشكت الأمور أن تنفلت ، فقال سعد بن أبي وقاص : "أفرغ يا عبد الرحمن قبل أن يفتن الناس .

فارتقى عبد الرحمن المنبر وقال : "يا أيها الناس إنّي قد سألتكم سرّاً وجهراً من إمامكم ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين علي وعثمان" .

فدعا علياً فقال له : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده" .

فقال علي : "أرجو أن أفعل فأعمل بمبلغ علمي وطاقتي" .

ثمّ أخذ بيده وقال : "أبايعك على شرط عمر ألاّ تجعل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس" ، فقال علي : "ما لك ولهذا؟ إذا قطعتها في عنقي فإنّ عليّ الاجتهاد لأمّة محمّد ، وحيث علمت القوّة والأمانة استعنت بهما ، كان في بني هاشم أو غيرهم" . فترك يد علي وأخذ بيد عثمان ، فسأله كما سأل علياً وشرط عليه ألاّ يضع بني أمية على رقاب الناس ، فوافق عثمان على الشرط .

فأعلن عبد الرحمن بن عوف أنّه يبايع عثمان ، ودعا الناس إلى بيعة .

فقال علي : "ليس هذا أوّل يوم تظاهرتم عليّ ، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ، أما والله ما ولّيت عثمان إلاّ ليرد الأمر إليك ، والله كل يوم هو في شأن" .

فقال عبد الرحمن : "يا علي لا تجعل على نفسك سبيلا ، فإنّي قد نظرت وشاورت الناس ، فإذا هم لا يعدلون بعثمان . فقال علي : "سيبلغ الكتاب أجله" .

فقال المقداد : "ما رأيت مثل ما أوتي أهل البيت بعد نبيهم . إنّي لأعجب من قريش أن تركوا رجلاً ما أحد أعلم منه ، ولا أقضى منه

بالعدل" .

فقال عبد الرحمن : "اتقي الله يا مقداد إنّي خائف عليك الفتنة" .

فقال علي : "إنّ الناس ينظرون وقريش تنظر إلى بيتها وتقول : إن ولي عليكم بنو هاشم لم تخرج منهم أبداً ، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها بينكم" .

فقال عبد الرحمن : قال تعالى ﴿**انَّ الَّذينَ يُبَايعُونَكَ إنَّمَا يُبَايعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْديهمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسه وَمَنْ أَوْفَى بمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتيه أَجْراً عَظيماً**﴾ [١] .

وحدث هرج عظيم ، ورأى علي أنّ اختلاف الناس قد يؤدّي إلى فتنة!! فشقّ الناس حتّى بايع وهو يقول : "خدعة أيما خدعة" . ثمّ ارتقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : "لقد علمتم أنّي أحق الناس بها من غيري ، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة ، التماساً لأجر ذلك وفضله ، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه" .

وبايع فبايع من بعده الذين أحسّوا أنّه مظلوم سليب الحق [٢] .

وصرع الخليفة ، ودارت رحى الحرب بين صاحب الحق والمغتصب ، ومازالت دائرة حتّى صدقت نبوءة النبي صلى الله عليه وآله في صاحب الحق ، حين قال لعليّ : أتدرى من أشقى الأوّلين والآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم ،

---

[١] الفتح : ١٠.

[٢] عبد الرحمن الشرقاوي ، علي إمام المتقين ، ص١٢٦.

قال : أشقى الأوّلين عاقر الناقة ، وأشقى الآخرين قاتلك وقال : تخضب لحيتك من دم رأسك .

وقد خرج علي في ليلة قتله ، وهو يقول :

اشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بواديكا

وروي عن الحسن أنّه قال : أتيت أبي فقال لي : ملكتني عيناي ، فسنح لي رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت : يا رسول الله ماذا لقيت من أُمّتك من الأود واللدد؟ فقال : ادع عليهم ، فقلت : اللّهم أبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شرّاً لهم منّي .

وخرج إلى الصلاة ، فقتله ابن ملجم في المحراب .

وبايع الناس الحسن عليه السلام ، وتحققت فيه نبوءة جدّه صلى الله عليه وآله فيه . قال أبو بكرة : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه ، وهو يقول : إنّ ابني هذا سيّد ، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

وقال الحسن عليه السلام لجبير بن نفير حين قال له : إنّ الناس يقولون إنّك تريد الخلافة ، فقال : قد كان جماجم العرب في يدي، يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت ، تركتها ابتغاء وجه الله ، وحقن دماء الأمّة ، ثمّ ابتزّها بأتياس من أهل الحجاز .

ثمّ إنّ الإمام الحسن بن علي عليه السلام صالح معاوية حقناً للدماء ، وحفظاً لحقوق الله في دماء الناس على أن يكون الأمر لمعاوية ما كان حيّاً ، فإذا مات فالأمر للحسن ثمّ للحسين ، وبذلك أراد الحسن تصحيح المسار الذي به دخلت الأمّة ظلمات الحرب وحبّ الدنيا حيث إنّ اجتماع السقيفة والذي تمّت فيه البيعة وانتخاب الخليفة الأوّل أبي بكر فإنّه كان أقرب إلى الانقلاب السياسي منه إلى إجراء انتخاب . وهي عملية لم يتّضح فيها طريقة اختيار الإمام .

ولم تكن هناك كيفية واحدة في اختيار من يدير شؤون المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ففي اجتماع السقيفة ، حضر معظم الصحابة من المهاجرين والأنصار ، وتخلّف عنها أقرباء النبي لانشغالهم بتجهيز الرسول صلى الله عليه وآله ومن بينهم الإمام علي ، وحاول أبو بكر وسعد بن عبادة ـ باعتبارهما مرشّحين رئيسيين ـ إلى انتزاع موافقة المؤتمرين على البيعة .

وبعد طول النزاع وانحراف الأمّة عن مسارها الصحيح بحيث وصل بهم الأمر إلى أن يُجعل يزيد الفاجر أميراً عليهم فعندئذ تكلّم الساكت وبرز المظلوم ، وتجشم الظالم وخرجت السهام من أكنتها بعد طول مكث ، وأُحرقت الكعبة ، وخُربت المدينة ، وقُتل الحسين بن علي ، وصُلب ابن الزبير ، ودخلت الأمّة بحار الظلم والظلمات ، وتحكّموا في رقاب العباد ألف شهر ، وعدّتهم أربعة عشر نفراً .

وهم ملوك بنى أُميّة الذين حدّثتنا عنهم الأخبار الثابتة ، فقد أخرج ابن جرير عن سهل بن سعد قال : "رأى رسول الله ﷺ بني فلان ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكاً حتّى مات . قال : وأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**﴾[١] .

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقى في الدلائل ، وابن عساكر عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال : "رأى رسول الله ﷺ ، بني أمية على المنابر ، فساءه ذلك فأوحى الله إليه : إنّما هي دنيا أعطوها فقرّت عينه ، وهي قوله ﴿**وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس**﴾[٢] .

وأوّل ملوك بني أمية هو : معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب ، وفي حديث سعيد (تمتّعنا مع رسول الله ﷺ ومعاوية كافر بالعرش)[٣] .

وأسلم في عام الفتح مع أبيه ، ونازع أمير المؤمنين علي بعد أن رضي به أهل الحل والعقد ، وبذلك لزمه ما رضي به الباقون فما كان عليه إلاّ الانقياد والطاعة ، ولا يشقّ عصا الطاعة . وقد صوّغ كثير من أهل العلم ما فعله ، والله أعلم بنيّاتهم . وتنازل له الحسن عام الجماعة . ومات في رجب سنة ستين للهجرة .

---

[١] الاسراء : ٦٠ ،]محمّد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، ١١٣/٩[.

[٢] السيوطي ، الدرّ المنثور ، ٣٠٩/٥ .

[٣] أي : قبل إسلامه . والعرش : بيوت مكّة . وقيل : معناه أنّه مقيم مختبىء بمكة ؛ لأنّ التمتع كان في حجة الوداع بعد فتح مكة ، ومعاوية أسلم عام الفتح . (أي : أنّه من الطلقاء) ، النهاية لابن الأثير ١٨٨/٤ .

الثاني : يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، ولد سنة ست وعشرين ، وبُويع بعهد أبيه ، وهو صاحب الأمر في قتل الإمام الحسين بن علي ، وصاحب الأمر في قتل أهل المدينة في الحرة ، وقتل أهل مكة . وفي مسند أبي يعلى حدثنا الحكم بن موسى عن الأوزاعي عن مكحول عن أبي عبيدة قال رسول الله ﷺ (لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتّى يكون أوّل من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد) .

وروى زحر بن حصن عن جدّه حميد بن منهب قال: زرت الحسن ابن أبي الحسن ، فخلوت به ، فقلت : يا أبا سعيد ، ما ترى ما الناس فيه؟ فقال لي : أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف ، فحُملت ، وقال : أين القرَّاء ، فحكم الخوارج ، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة ، والمغيرة بن شعبة فإنّه كان عامل معاوية على الكوفة ، فكتب إليه معاوية : إذا قرأت كتابي هذا فأقبل معزولاً ، فأبطأ عنه ، فلمّا ورد عليه قال : ما أبطأ بك قال : أمر كنت أوطئه او أهيئه ، قال : وما هو؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك ، قال: أوَفعلت؟ قال : نعم ، قال : ارجع إلى عملك ، فلمّا خرج قال له أصحابه : ما وراءك؟ قال : وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة . قال الحسن : فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ولولا ذلك لكانت شورى .

وقال محمّد بن أبي السري : ثنا يحيى بن عبد الملك بن أبي غنية ، عن نوفل بن أبي الفرات قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر رجل

يزيد فقال : قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فقال : تقول أمير المؤمنين؟! وأمر به فضرب عشرين سوطاً .

وكان ملك يزيد بن معاوية أربع سنوات ، ومات سنة أربع وستين للهجرة .

الثالث : معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، استخلف بعهد من أبيه عند موته في ربيع الأوّل ، وقد ولي ثلاثة أشهر ، ومات دون أن يستخلف ، وقد عاش عشرين سنة . وقيل : ملك أربعين ليلة . وقيل : شهرين .

الرابع : مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة ، ولد بمكة بعد ابن الزبير بأربعة أشهر ، وكان يلقّب بخيط باطل .

وقال الواقدي : أسلم الحكم في الفتح ، وقدم المدينة فطرده النبي صلى الله عليه وآله فنزل الطائف ، فلمّا قبض النبي صلى الله عليه وآله قدم المدينة .

وقد كان مروان كاتب عثمان ، وهو من أكبر الأسباب التي دخل بها الداخل على عثمان ؛ لأنّه زوّر على لسانه كتاباً في محمّد بن أبي بكر .

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن أبي يحيى قال : كنت بين الحسن والحسين ومروان ، والحسين يساب مروان ، فجعل الحسن ينهاه ، فقال مروان : إنّكم أهل بيت ملعونون . فغضب الحسن وقال : ويلك ، قلت هذا ، فوالله لقد لعن الله أباك على لسان نبيه وأنت في صلبه .

وقال الأعمش عن عطية ، عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "إذا

بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً ودين الله دغلاً ، وعباد الله خولاً" . أي : خدماً وعبيداً .

الخامس : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ولد سنة ستة وعشرين ، بويع بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير ، وكان حكمه على الشام ومصر ، وابن الزبير على باقي البلاد حتّى سنة ثلاث وسبعين عندما قتل ابن الزبير فكانت الجماعة له .

ولمّا جهّز يزيد بن معاوية جيشاً إلى مكة قال عبد الملك : أعوذ بالله ، أيبعث إلى حرم الله؟! فضرب يوسف بمنكبه وقال : جيشك إليهم أعظم .

وقال أحمد بن إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسانى : ثنا أبي عن أبيه ، قال : لما نزل مسلم بن عُقبة المدينة دخلت مسجد النبي صلى الله عليه وآله فجلست إلى جنب عبد الملك ، فقال لي عبد الملك : أمن هذا الجيش أنت؟ قلت : نعم . قال : ثكلتك أمك ، أتدري إلى من تسير؟ إلى أوّل مولود ولد في الإسلام ، وإلى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلى ابن ذات النطاقين ، وإلى من حنّكه رسول الله صلى الله عليه وآله ، أما والله إن جئته نهاراً وجدته صائماً ، ولئن جئته ليلاً لتجدنّه قائماً ، فلو أنّ أهل الأرض أطبقوا على قتله لأكبّهم الله جميعاً في النار . فلمّا صارت الخلافة إلى عبد الملك ، وجّهنا مع الحجاج حتّى قتلناه .

وقال ابن عائشة : أفضي الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره ، فأطبقه وقال : هذا آخر عهدي بك .

ولمّا احتضر دخل عليه الوليد ـ ابنه ـ يبكي ، فقال : ما هذا ، تحن حنين الأمة إذا مت فشمر وائتزر والبس جلد النمر ، وضع سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه فاضرب عنقه ، ومن سكت مات بدائه .

وتوفي سنة ست وثمانين . وقتل في عهده ابن الزبير وسعيد بن جبير وأحرقت الكعبة .

السادس : الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص . استخلف بعهد من أبيه وكان دميماً ، إذا مشى تبختر في مشيته ، وكان أبواه يترفانه ، فشب بلا أدب .

وكان جبّاراً ظالماً ، وفتحت في أيامه فتوحات عظام ، وكان ملكه تسع سنين ، وعاش إحدى وخمسين سنة ، ومات سنة ست وتسعين للهجرة .

السابع : سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ولي الملك سنة ست وتسعين بعد الوليد بعهد من أبيه عبد الملك .

وعن ابن سيرين قال : يرحم الله سليمان بن عبد الملك افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لوقتها ـ وكان بنو أمية يؤخّرون الصلاة ـ واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز .

وقال إبراهيم بن هشام بن يحيى : ثنا أبي ، عن أبيه قال : جلس سليمان بن عبد الملك في بيت أخضر على وطاء أخضر عليه ثوب اخضر ، ثمّ نظر في المرآة فأعجبه شبابه وجماله فقال : كان محمّد ﷺ

نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً ، وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حيياً ، وكان علياً شجاعاً، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك سائساً ، وكان الوليد جبّاراً ، وأنا الملك الشاب . فما دار عليه الشهر حتّى مات . ومات سنة تسع وتسعين .

الثامن : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية (أبو حفص) ولد سنة ست وستين عام وفاة معاوية أو بعده بسنة في المدينة .

وتولّى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك ، أشار به عليه رجاء ابن حلوة ، ولكن عمر : أقال الناس من البيعة ، فرفض الناس غيره . وبدأ بأسرته وأهل بيته فأخذ ما بأيديهم من الأموال وسمّاها مظالم ، وكان يقول : لو أقمت فيكم خمسين عاماً ما استكملت فيكم العدل .

وتوفي في يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة ، ومات ابن تسع وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت خلافته مثل خلافة أبو بكر تسع وعشرين شهراً .

التاسع : يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان ، ومات بسهم أصابه سنة خمس ومائة للهجرة .

العاشر : هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، تولّى الخلافة بعهد من أخيه يزيد بن عبد الملك ، وكان بخيلاً وحازماً .

وقتل زيد بن علي ، وصلب بدنه بالكوفة أربع سنوات ، ومات من ورم أصابه في حلقه حتّى قتله .

الحادي عشر : الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، ولد سنة تسعين ، فلمّا احتضر أبوه لم يمكنه أن يستخلفه ؛ لأنّه صبيّ ، فعقد لأخيه هشام وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام .

قال أحمد في مسنده : ثنا أبو المغيرة أنا ابن عياش هو إسماعيل حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر قال : ولد لأخي أم سلمة ولد فسمّوه الوليد ، فقال النبي ﷺ : "سميّتموه بأسماء فراعنتكم ليكون في هذه الأمّة رجل يقال له الوليد لهو أشد لهذه الأمّة من فرعون لقومه" .

وفي لفظ بعضهم : (لهو أضرّ على أمتي) ، وفي لفظ آخر : (لهو أشدّ على أمتي) .

قال المعافي الجريري : كنت جمعت من أخبار الوليد شيئاً ومن شعره الذي ضمنه ما فخر به من خرقه وسخافته وخسارته وحمقه .

والوليد بن يزيد هذا المخاطب لكتاب الله العزيز بعد أن ألقاه ورماه بالسهام .

تُهددني بجبار عنيد		فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر		فقل يا رب مزّقني الوليد

والوليد هذا كان فاسقاً خمّيراً لوّاطاً ، راود أخاه سليمان عن نفسه ،

ونكح زوجات أبيه وقيل : إنّه لم يصح عنه كفر ولا زندقة لكنّه اشتهر بالخمر والتلوّط!!

الثاني عشر : يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، الملك الملقّب بالناقص لنقصه من أرزاق الجند ، وقد دعا الناس إلى القدر ـ كما قال الشافعي ـ وحملهم عليه ، وقرّب غيلان وأصحابه .

الثالث عشر : إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، ولم يمكث طويلاً ، وقد كان سيّء السيرة ، وخلعه مروان بن محمّد ، وهو آخر ملوك بني أمية .

الرابع عشر : مروان بن محمّد الملقّب بالحمار ، وكان ملكه ثلاثة أشهر .

ونتيجة لما وقع من الظلم والجور والفسق والفجور في زمن الأمويين استغل بنو العباس هذا الأمر، ورفعوا شعار آل البيت، وبه أسقطوا الدولة الأموية .

بنو العباس :

دخل السفاح عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن العباس الكوفة ، وبويع يوم الجمعة رابع عشر ربيع الأوّل سنة اثنين وعشرين ومائة ، وقام فيهم خطيباً يحمد الله ويثني على رسول الله صلّى الله عليه وآله ويذكر فضل أهل البيت والخلفاء الراشدين حتّى قال : ثمّ وثب بنو حرب وبنو مروان فانبذوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما

ملأ الله لهم حيناً حتّى آسفوه فلمّا آسفوه انتقم منهم بأيدينا وردّ علينا حقّنا وتدارك بنا أمّتنا وولي نصرنا والقيام بأمرنا ليمنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا ، وإنّي لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح ، وما توفيقنا أهل البيت إلاّ بالله [١].

بيد أنّه بعد انتهاء ليلة العرس ، بدت سياسات الملك تزحف حتّى قتل الأخ أخاه [٢] ، ثمّ أخذ الترف والغرور يطغى رويداً رويداً حتّى تحللت الخلافة العباسية إلى دويلات صغيرة .

وسنستعرض أمثلة على ما لحق بآل البيت عليهم السلام في زمن العباسيين :

١ ـ لمّا حملت الرؤوس إلى الهادي ، ووضع رأس الحسين (الحسين ابن علي بن الحسن السبط) بين يديه قال : كأنّكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت [٣].

٢ ـ إنّ من يمعن النظر في تاريخ الإسلام يعلم علم اليقين أنّ غالب من خرج من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله ما كان ذلك منه إلاّ عن مصيبة نابته وضنك مسّه وفاقة لحقته وذلّ أهانه ، فإنّ الأمويين كانوا يمنّون على الموالي وصعاليك العرب بمئات ألوف الدنانير ، ويعطونهم الإقطاع

---

[١] علي بن أنجب الشهير بابن الساعي ، تاريخ الخلفاء العباسيين ، ص٨.
[٢] كقتل المأمون أخاه الأمين .
[٣] المرجع السابق ، ص٣٢.

والضيعات ، ويستعملونهم على الممالك ويستوزرونهم ، ويقتّرون على الفاطميين حتّى يصير الفاطمي في ضيق ومحنة شديدة بحيث لا يجد ثمن جارية زنجية يصون بها عفّته ، ولا ثمن كسوة يستر بها بدنه .

ويرى أنّ الموالي لبني أمية الذين يشاركونهم في شرابهم وفسقهم وفجورهم يتقلّبون في أنواع الرفاهة . فهنالك يهزّ الجماعة الفاطمية شرفهم ونخوتهم فيخرجون لا خروجاً على الطاعة ولا نقضاً للبيعة ، ولكن يقولون أرض الله واسعة ، فيهاجر أحدهم إلى ناحية من الأرض فيها قوم من أمّة جدّه صلى الله عليه وآله فإذا وصلهم حرّكتهم نخوة الدين فاحترموه وأكرموه ، وألفته قلوبهم واجتمعوا عليه . فمتى بلغ خبره الأمويون قالوا : خرج وربّ الكعبة . وساقوا عليه القواد والجنود ، ولا يزالون حتّى يتركوه شهيداً . وكذلك بنو العباس [1] .

٣ ـ وفي سنة ثلاث وثمانون ومائة استشهد الإمام موسى الكاظم بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ببغداد في حبس الرشيد مسموماً .

وقد بعث الإمام عليه السلام إلى الرشيد لمّا كان محبوساً برسالة : "إنّه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلاّ انقضى عنك معه يوم من الرخاء حتّى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون" .

وفي أوائل السنة العاشرة بعد المائتين توفي ولي الله الإمام إبراهيم

---

[1] المرجع السابق ص٣٢ ـ ٣٣ .

المرتضى بن موسى الكاظم عليه السلام مسموماً ببغداد ، وقد قدم بغداد بعهد وثيق من المأمون، ولكن الله يفعل ما يشاء ، وأنشد ابن السماك الفقيه :

مات الإمام المرتضى مسموماً وطوى الزمان فضائلاً وعلوما
قد مات في الزوراء مظلوماً كما أضحى أبوه بكربلا مظلوما
فالشمس تندب موته مصفرة والبدر يلطم وجهه مغموما [1]

٤ ـ إنّ عداء المتوكّل لعلي بن أبي طالب وذرّيته كان مشهوراً حيث أمر بهدم قبر الحسين السبط وأهل بيته فهدّمت . وقتل يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكّيت ، وذلك أنّه قال يوماً : أيما أحب إليك ولداى المعتز والمؤيد أم الحسن والحسين؟ فقال والله إنّ قنبراً خادم علي خير منك ومن أولادك ، فقال المتوكّل : سلوا لسانه من قفاه ففعلوا فمات .

وكان عنده رجل مخنث يقال له عبادة يتمسخر بعلي بن أبي طالب فيشد على بطنه شيئاً ويدخل وهو يرقص ، ويقول : قد جاءكم الأنزع البطين عليّ خليفة المسلمين والمتوكّل يضحك غير أنّ ولده المنتصر نهاه وقال كُل أنت ابن عمك ولا تدع هذا المخنث يأكل لحمه . فقال :

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرأمه

ما بعد غزو التتار :

وعجز الحالمون أن يرجعوا الحق إلى قناته . وفي صراع هذه

---

[1] المرجع السابق باختصار ص ٦٨.

الأحداث ضُرب الحلم بواقع خروج جماعة التتار الآتية من وسط آسيا زاحفة على وجه العالم الإسلامى ، فعمدوا إلى المدائن العامرة بالخراب والدمار حتّى تحوّلت بغداد حاضرة العالم إلى مدينة غير آهلة بالسكّان لا يسكنها إلاّ الهوام ، وتهاوى الجسد تحت سنابك الخيل .

وكان المماليك وهم (رقيق) قد وصلوا إلى حكم مصر بعد أن ضعفت الدولة الأيّوبية فحكموا البلاد مدّة قرنين ونصف ، وقد نجح الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة ، وهو الذي أتى بأبي العباس عمّ المعتصم آخر الخلفاء العباسيين إلى القاهرة بعد أن استطاع الهرب من الاجتياح التتاري لبغداد ، وبدأت سلسلة الخلفاء في القاهرة من سنة ٦٠٩هـ حتّى وصل عدد من تقلّد الخلافة في القاهرة ثلاثة عشر خليفة .

بيد أنّ نفوذ هؤلاء الخلفاء لم تتعدّى سوى تقليد السلاطين المماليك ، ووصل الحال بالخلفاء بأنّهم كانوا تابعين وليس متبوعين . وظلّ هذا الحال حتّى دخل سليم الأوّل القاهرة سنة ٩٢٢هـ واضعاً بذلك نهاية الخلافة العباسية في القاهرة .

وبذلك قامت الخلافة العثمانية في الأستانة وكان منها حكم مطلق ، وتفريق بين المسلمين حتّى أنّ السلطان سليم الأوّل استصدر من الهيئة الإسلامية فتوى تجيز إعدام الذين يعتنقون المذهب الشيعي من رعايا الدولة ، واعتبارهم مرتدّين عن الإسلام .

وكذلك استعلاء الأجناس الأخرى كالترك والشركس على العرب وأهل الشرق ممّا جعل فكرة القومية تأخذ فى النفوس مجراها للخروج من هذا الاستبداد العرقي حتّى قامت الدولة التركية مقام الخلافة العثمانية ، وفي استفتاء شعبي أجرته الجمعية الوطنية التركية كان رفض الناس للخلافة وسقوطها ليعلنوا ذلك في مارس سنة ١٩٢٤ ، وكان مؤتمر القاهرة الإسلامي في مصر عديم الجدوى في محاولة إرجاع الخلافة .

فانظر ما فعله الملوك في الناس حتّى رفضوا أمراً يعتبره الكثير أنّه من الدين!!!

وبعد مضي ما يقرب قرناً من الزمان من سقوط الخلافة ، واجتماع قوى الشر على الأمّة الذين استعمروا بلادنا ، ونهبوا خيرنا ، وحاصرونا وأذاقونا سوء العذاب ، ما كان ذلك ليحدث لولا تفرّق المسلمين إلى فرق وأحزاب وجماعات متفرّقة لا مجتمعة ، متخاصمة لا تتصالح ، تتقاتل لا تتحاب وتتصالح . أقول : "أليس فيكم رجل رشيد ؟؟!!" .

اختلاف الناس فى العقيدة :

أمّا الخلاف الذي كان في مسألة الخلافة أو الإمامة بما له من أبعاد نصوصية أو شورية فقد دخل حيّز آخر من الخطورة حتّى وصل إلى "التوحيد" ليكون مجالاً للخصومة والتكفير لا الدراسة والعلم ..

ومن المسائل التي أثيرت وأريقت بسببها الدماء ، مسألة مُرتكب

الكبيرة ، فقد أثارها الخوارج وسيوفهم في أيديهم ، والخصام بين المسلمين قد بلغ غايته حتّى أنّهم كانوا يرعون دم الذمي ، ولا يرعون دم المسلم ابن جلدتهم ؛ لأنّهم ذهبوا ـ وبئس ما ذهبوا إليه ـ أنّ مرتكب الكبيرة كافر مستباح الدم .

ثمّ تجددت هذه المسألة بين الحسن البصري وتلميذه ابن عطاء ، فجعلت التلميذ يضاد شيخه ومعلّمه ، ويعتزل مجلسه ، ويكوّن مجلساً آخر يتصدّر فيه برأيه ، وقد كان واصل يرى أنّ مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً ولا كافراً ، وإنّما منزلة بين المنزلتين ، أي: فاسق وكان الحسن البصري يرى أنّ مرتكب الكبيرة (منافق)!!!

ثمّ جاءت مسألة أخرى عن خلق القرآن فزادت النار اشتعالاً ، بين الأمّة من المعتزلة ومن خالفهم في ذلك ، وتعصّب المأمون ومن أتى بعده لرأي المعتزلة وانقسمت الأمّة على نفسها حتّى إذا ما جاء أحد ملوك بني العباس انتصر لرأي أحمد بن حنبل وجماعة معه، لتدور الرحى مرّة ثانية من القتل والسجن والتعذيب . وظلّ الحال كما هو عليه حتّى بعد أن حاول أبو الحسن الأشعري محاولة التقريب بين المعتزلة وغيرهم من أهل السنة ، ولكن قامت خصومة شديدة بينه وبين المعتزلة من جهة ، وبين الحرس القديم لأهل السنة من جهة أُخرى . وفي عهد الملك طغرلبك السلجوقي انتصر الكرامية في خراسان وغيرها ، فعذّب الأشاعرة ففرّوا إلى الحجاز .

وفي عهد الوزير نظام الملك ناصرالأشاعرة عذّب غيرهم وشرّدهم حتّى طغى مذهب الأشاعرة على غيره ، وذاقت المعتزلة الاضطهاد حتّى انمحت آثارهم .

وتطوّر هذا الخلاف إلى ما هو أخطر من هذا ، فقد عمد البعض على أن يقيم هذه الخصومة على أساس من الدين ، لتكون الخصومة مشروعة لا إثم فيها، ويثاب أصحابها .

وأمّا قضية المذاهب الإسلامية والفرق فيجب أن نتعامل معها من منظور رحب داعين إلى وفاق لا خصام ، وإلى اجتماع والتئام وليس إلى قطيعة وانفصام . وثمة نقطة جوهرية تتصل بمنهج التعامل مع هذه القضية وهي أنّ نقاط الاتفاق أكثر بكثير من نقاط الاختلاف فعلينا جميعاً تقوية نقاط الاتفاق والاشتراك ، والحوار والنقد البنّاء حول نقاط الاختلاف ، وأن لا يتحوّل الاختلاف إلى التفكير .

مصالحات تاريخية :

إنّنا في عصر يتّجه فيه الجميع إلى التكتلات دفاعاً عن المبادئ والمصالح . ونحن أمّة سبّاقة إلى كل خير ، فما بالنا نتأخّر ويتقدّم غيرنا ، وما بالنا نتخاصم ويتصالح غيرنا .

وما يدعونا إلى الدهشة والحزن معاً ، أنّنا سبقنا هؤلاء في محاولة إجراء الحوار والاتحاد منذ قرون عديدة ، ولكن لماذا ماتت محاولاتنا وأنتجت محاولاتهم؟!

لقد شهدت مصر سنة ١٩٤٧م تشكيل دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وللأستاذ الأكبر محمود شلتوت مقدّمة في قصّة التقريب قال : "كان يجلس المصري إلى الإيراني أو اللبناني أو العراقي أو الباكستاني ، ويجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي ، حول مائدة واحدة ، تدوي بأصوات فيها علم ، وفيها أدب، وفيها تصوّف ، وفيها فقه ، وفيها مع ذلك روح الأخوّة وذوق المحبّة والمودّة ، وزمالة العلم والعرفان" .

وأصدرت اللجنة مجلة (رسالة الإسلام) وشعارها ﴿**انَّ هَـذه أُمَّـتُكُمْ أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون**﴾ [1].

وفي الحقيقة لا يوجد خلاف وشقاق ونزاع بين الشيعة والسنة ، بل الخلاف والشقاق وراءه أجندة سياسية ومصالح فئوية وحزبية ، وكان وراء هذه النزاعات الحكّام الظلمة أمثال بني أمية وبني العباس . وهذا الخلاف أحدث فجوة وشقاق أمكنه من التأثير سلباً على فكرة التقارب بين الفريقين .

ولم يكن كتاب منهاج السنة فى نقض كلام الشيعة و القدرية لابن تيمية إلاّ حلقة في هذا النزال والجدل المرير الذي جاء في إطار المناظرة بينه وبين حسن بن يوسف بن المطهر الحلي المشهور بالعلامة المتوفى سنة ٧٢٦هـ، ورداً على كتابه (منهاج الكرامة في معرفة الإمامة) ،

---

[1] الأنبياء : ٩٢.

وتناول الشيعة ومنهجها بالكثير من المبالغات والسخرية .

وفي أوائل القرن التاسع عشر قامت حركة تجديدية جعلت الحواجز تتساقط بين المسلمين ، وأخذت العلاقات أبعاد جديدة من الودّ والتفاهم ، وكان هدف المجددين هو وحدة الأمّة سنة وشيعة . وكان من هؤلاء السيد جمال الدين الأفغاني الذي اعتبر أنّ هذا الأمر أهمّ ما يقابل الأمّة في تلك الظروف من تحدّي ، وقد كان الرجل ساعياً وراء حلمه منادياً به ، يحمل بين جنباته قدراً غير قليل من رباطة الجأش وسعة الصدر ، ويرى أنّ القرآن يدعو إلى الوحدة والتحرّر من كل القيود التي تتلاعب بالأمّة حتّى تستطيع أن تنجز مهمّتها حيث أنّها حاملة لرسالة إلهية جاءت لدحض الجبّارين والمستكبرين ، وتثبيت التوحيد ، فالرؤية الشرعية والمصلحية تستدعي وحدة الأمّة .

وتجلّى نجاح هذه الحركة في أكثر من موقف ، منها : تظاهر مسلمي الهند من أجل تأييد الثورة المهدية ضدّ الإنجليز المحتلين فى السودان ، ومنها : تحريض علماء الشيعة في العراق وإيران شيعتهم على قتال الإنجليز في الحرب العالمية الأولى ، رغم ما فعلته فيهم الدولة العثمانية ، بيد أنّ تيار الوحدة وانعقاد أواصر الأخوّة بين السنة والشيعة كان أقوى من كل حدث سابق عليه .

ورغم أنّ حركة التجديد لم تؤت كل ما نعقده عليها من آمال إلاّ أنّها وفّقت على الأقل في القضاء على كثير من العقبات ، واستطاعت الوصول

إلى نقاط اتفاق ، واعتبروا الوحدة الإسلامية هدفاً أبعد من حدود الخلافات المذهبية والعقائدية ، ويجب أن ينتقل الخلاف من مساحة الخصوصية إلى مساحة الحوار .

وقد استمر الشيعة في نضالهم من أجل وحدة الأمّة ، فاشتركوا مشاركة فعلية في مؤتمر بيت المقدس ١٩٢١م ، وشارك مندوب اليمن ، ومندوبان من إيران ، ومفتي الشيعة فى سوريا ، ومندوب عن شيعة العراق ، وكانت لهذه المشاركات دلالة على أنّ قضية الخلاف بين الشيعة والسنة خلاف مفتعل . ويمكن أن تبنى وجهات النظر بينهما مرّة أُخرى على احترام كل من الطرفين ، وأن يكونوا وحدة سياسية واجتماعية .

وفي عام ١٩٤٧م أنشأت في مصر دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، والتي أصبحت مجمع للحوار بين الفرق الإسلامية .

وقد أثّر إحياء الاجتهاد والمدارسة الجديدة في إعادة النظر التاريخي بين السنة والشيعة على الحوار مع الشيعة لتحقيق مصلحة الأمّة ، ففي فبراير ١٩٥٩م نشرت مجلة الأزهر الرسمية في القاهرة فتوى شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت ، والتي نصّت على جواز التعبّد بفقه الشيعة الإمامية ، وكان هذا يعني الاعتراف بالتشيع كمذهب رسمي إلى جوار المذاهب الفقهية الأخرى ، وهذه الفتوى كانت تحت عنوان (الإسلام دين الوحدة) ، واستطاع الشيخ أن يدحض التعصّب ، ويرصد مضارّه وآثاره ،

وأن يقدّم حلاً إسلامياً في إرساء دعائم الإسلام ضماناً لرفاهية الأُسرة والمجتمع .

وتزامنت هذه الفتوى مع حركات تصالحية فى صدور (مجمع البيان) للشيخ الطبرسي ، و (وسائل الشيعة) للحرّ العاملي ، وكلٌّ منهما حاز على إجازة الأزهر وتأييده ، واستمرّ هذا الجهد العظيم ، وعقدت أواصر الصداقات والمراسلات بين كلا الطرفين .

وعلى غلاف المجلة الخلفي جاءت مواد القانون الأساسي للجمعية ، والتي نصّت على العمل على جمع أرباب المذاهب الإسلامية الذين باعدت بينهم آراء لا تمسّ العقائد التي يجب الإيمان بها ، والسعي لإزالة ما يكون من نزاع بين شعبتين أو طائفتين من المسلمين والتوفيق بينهما ، وظلّ هذا الفريق يعمل بتوفيق من الله تعالى على مدى ستة عشر عاماً حافلة بالنجاح عبر (رسالة الإسلام) ، ثمّ انتهى هذا الحلم مع الظروف السياسية سنة ١٩٦٤م .

أفلا نفيق اليوم والعالم يرمى المسلمين بقوس واحد؟! وها هى الأحزاب ، وإن شئت فقل التحالف الدولي يتسلّط علينا ، ويحتل بلادنا بلداً بعد آخر .

وعقب قيام الشاه في إيران بالاعتراف بالكيان الصهيوني عام ١٩٦٠م عقد الأزهر مؤتمر في أغسطس من نفس العام ، وأصدر بياناً

طالب فيه من كل مسلمي العالم أن يعلنوا الجهاد ضدّ الشاه ونظامه في إيران الموالي لإسرائيل ، وبعد ثلاث سنوات تمّ إلغاء دار التقريب في مصر ، وعلى أثر ذلك انعقدت القيادة لآية الله روح الله الخميني ، وانعقدت جبهة بين رجال الدين المناضلين من إيران والقوميين العرب الناصريين ضدّ الشاه ، وحظيت هذه الحركة باحترام قلّما يذكر مثله . وبانتصار الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م وصل التعاون الشيعي السني إلى مرحلة دقيقة لإنهاء النزاع المذهبي بين السنة والشيعة إلى الأبد . بيد أنّه في أقل من عام ، وبدوافع عدّة ، ومؤامرات لا تخفى عن الكثير تحوّلت المصالحات إلي حرب طاحنة لم يكن العراق وإيران هم ميدانها فحسب ، لكن أصبحت ميادين الحرب كُثُر من صحافة وإعلام ومنابر وغيره .

إنّ حلم الوحدة الذي يداعب أحلام المسلمين ، والذي ربما لا يعلم الكثير منّا أنّه يقف حجر عثرة أمام قوى الشر العالمية ، وحركة الاستعمار التي تريد أن تكون هذه الأمّة فرَق وجماعات متنازعة للسيطرة عليها ، ولسرقة خيراتها الطبيعية ، والتحكّم في طرق التجارة العالمية .

فقامت الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠م فأحرقت الأخضر واليابس ، وتبدد كل هذا الجهد ، وظهرت أدبيات الحرب في صورة

كتابات أكثر فجاجة وقسوة سيطرت على الوعي العام الثقافي والديني في البلاد التي يسكنها أغلبية سنية ، ومازال السواد الأعظم من أهل السنة يعتبرون الشيعة خارجين عن الإسلام ، ومع كل ما سبق نقول : إنّنا نعيش مرحلة غاية في الدقّة والضيق ، فبلاد العرب والإسلام على مرمى صواريخ الأعداء ، وكل يوم تضرب بها بلد ، وتهدم بها نظام ، وتتلاعب بآخر .

والكلمة الأخيرة في هذه المرحلة توجب علينا أن نقيم من كل هؤلاء جبهة واحدة ممتدة ذات طابع ثورى أمام الأعداء ، وهذه الجبهة يجب أن تكون مقرونة برؤية فكرية متجانسة ومتّسعة لكافة الأمّة حتّى تكون معركتنا مع هذا العدو معركة حاسمة فإمّا الكل وإمّا الفناء مستمسكين بقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاته وَلا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلمُونَ* وَاعْتَصمُوا بحَبْل الله جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بنعْمَته إخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَة منَ النَّار فَأَنْقَذَكُمْ منْهَا كَذَلكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاته لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [1] .

إنّ العمل على وحدة المسلمين أصبح شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة، والواجب علينا جميعاً أن نعيد النظر في كثير من دواعي التشرذم والخلاف.

---

[1] آل عمران : ١٠٢ ـ ١٠٣ .

ونحن في حاجة ماسّة إلى جهد مشابه ، بل أكثر لما بذله علماؤنا الأعاظم من جهد في سبيل وحدة هذه الأمّة ، أمثال:

الشيخ الإمام عبد المجيد سليم ، والشيخ الإمام محمود شلتوت ، والسيد الإمام الأكبر الحاج آغا حسين البروجردي ، والإمام محمّد الحسين آل الكاشف الغطاء ، والسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي ، والإمام الشيخ محمّد تقي القمي ، والأستاذ محمّد جواد ، والإمام الدكتور محمّد أبو زهرة ، والإمام أبي القاسم الموسوي الخوئي ، والدكتور محمّد محمّد المدني ، وغيرهم الكثير الذين أضاءوا للأمّة نوراً من نور النبوّة ، وأعطونا فهماً . نسأل الله تعالى أن ينير قبورهم بما بذلوا للأمّة ولوحدة المسلمين .

ويجب أن نتوقّف وقفة إجلال وتحيّة لمسلمي جنوب لبنان حيث إنّ نصرهم هو الأمل الوحيد منذ أكثر من نصف قرن ، والذى تحققه جهة غير نظامية تلتف حول قاعدة شرعية وفقهية واضحة، استطاعت أن تنزل بالعدو الصهيوني أروع وأعظم الهزائم منذ عمر الصراع العربي الإسرائيلي ، ولقد انسحب وولي الأدبار دون قيد أو شرط ، فهل يمكن لعاقل أن يصف هؤلاء المجاهدين بأنّهم من أهل الأهواء أو الزيغ . هذا والله داء عضال .

ما زالت الدنيا تتذكّر تلك الفتوى العظيمة التي أصدرها آية الله العظمى الإمام الخميني ، حيث أهدر دم كاتب تطاول على القرآن الكريم

ورسولنا صلى الله عليه وآله وجعل لقاتله جعل عظيم ، فهل نعدّ هذا الرجل من يهود هذه الأمّة (كما يحلوا للبعض أن يسمّيهم) ، وإن كان يهود الأمّة هذا فعلهم ، فما هو فعل خُلَّص المؤمنين؟!

والقارىء المنصف الذي يقرأ الأحاديث الواردة في العترة كحديث الغدير ، وغيره الكثير في مصنّفات أهل العلم ، يعلم ـ على اختلاف مذهبه ـ أنّ الشيعة لم تتجمع حول قواعد بدعية ، ولكنّها تستند إلى أصول أصيلة في الدين ، والذين عايشوا النبي صلى الله عليه وآله علموا مكانة عليّ منه صلى الله عليه وآله وعظم قدره عند النبي صلى الله عليه وآله حتّى تشيّعوا له وناصروه ، وكانوا نواة الشيعة هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ، وإذا ما علمنا مكانة أصحاب النبي في التشريع الإسلامي ، وأنّهم حملة هذا الدين إلى الناس ، وأنّ الله تعالى منّ على أناس بصحبة نبيه صلى الله عليه وآله لذلك يتحقق لنا صحة أصل التشيع من الدين .

الفصل الثاني

تعريف الشيعة

التشيع لغةً : هو المشايعة ، أي : المتابعة والموالاة [١] .

والشيعة بالمعنى اللغوي هم الأتباع والأنصار ، وقد غلب هذا الاسم على أتباع علي بن أبي طالب ، حتّى اختص بهم ، وأصبح إذا أطلق ينصرف إليهم.

واصطلاحاً : هو الاعتقاد بآراء وأفكار معيّنة . وقد اختلف الباحثون في هذه الأفكار والآراء كثرة وقلة.

وقد ورد لفظ الشيعة في القرآن في تسعة مواضع بلفظ "شيعة" ، ولفظ "شيع" ، و لفظ "أشياع" ، أمّا بلفظ "شيعة" : فقال تعالى ﴿**وَإِنَّ مِنْ شيعَته لإِبْرَاهيمَ**﴾ [٢] ، وفي قوله تعالى ﴿**هَـذَا مِنْ شيعَته وَهَـذَا مِنْ عَدُوِّه**﴾ [٣] ، وقوله تعالى ﴿**ثُمَّ لَنَنْزعَنَّ منْ كُلِّ شيعَة أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَن عتيّاً**﴾ [٤] .

وأمّا بلفظ "شيع" ففي قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا منْ قَبْلكَ في شيَع الأَوَّلِينَ**﴾ [٥] ، وفي قوله تعالى ﴿**أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً**﴾ [٦] ، وفي قوله تعالى

---

[١] صحاح الجوهري ، الجزء الثالث ص١٥٦ ، تاج العروس ولسان العرب مادة (شيع) .

[٢] الصافات : ٨٣ .

[٣] القصص : ١٥ .

[٤] مريم : ٦٩ .

[٥] الحجر : ١٠ .

[٦] الأنعام : ٦٥ .

﴿انَّ الَّذينَ فَرَّقُوا دينَهُمْ وَكَانُوا شيَعاً﴾[١] ، وفي قوله تعالى **﴿انَّ فرْعَوْنَ عَلا في الأَرْض وَجَعَلَ أَهْلَهَا شيَعاً﴾**[٢].

وأمّا بلفظ "أشياع".

قوله تعالى **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ منْ مُدَّكر﴾**[٣]، وفي قوله تعالى **﴿وَحيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعلَ بأَشْيَاعهمْ منْ قَبْلُ إنَّهُمْ كَانُوا في شَكّ مُريب﴾**[٤] ، وفي حديث الرسول ﷺ : قال "إنّ هذا (علي) وشيعته لهم الفائزون"[٥]. وقول الإمام علي عليه السلام في واقعة صفين (قتلوا شيعتي وعمّالي)[٦].

---

[١] الأنعام : ١٥٩.

[٢] القصص : ٤.

[٣] القمر : ٥١.

[٤] سبأ : ٥٤.

[٥] السيوطى : الدرّ المنثور ، قوله تعالى (أولئك خير البرية) قال المصنف : أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال : كنّا عند رسول الله(صلى الله عليه وآله) فأقبل على ، فقال النبى : والذي نفسى بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ج١٢ : ٣٧٩ ، وقد حدّثنا ابن حميد قال : ثنا عيسى بن فرقد عن أبى الجارود عن محمّد بن على (أولئك هم خير البرية) فقال النبى : أنت يا على وشيعتك . ج١٢ : ١٧١ ، جامع البيان فى تفسير القرآن : الطبري . وعن جابر بن عبد الله قال : كنّا عند النبى(صلى الله عليه وآله) فأقبل على فقال(صلى الله عليه وآله) : والذي نفسى بيده ، فذكر الحديث السابق ، فنزلت (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) فكان أصحاب محمّد إذا أقبل قالوا : قد جاء خير البرية ، أخرجه ابن عساكر ، فتح البيان فى مقاصد القرآن ـ القنوجى البخاري ١٥ : ٣٧٧.

[٦] نصر بن مزاحم ، وقعة صفين ، ص١٦٢.

وانطلاقاً من كون التشيّع اعتقاداً بآراء معيّنة ذهب الباحثون تبعاً لذلك إلى تعريفه على اختلاف بينهم في مدى سعة هذه التعاريف وضيقها ، وإليك نماذج من تعريفاتهم :

١ ـ الشهيد الثاني في كتابه الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية قال : الشيعة من تابع علياً ، أي : اتّبعه وقدّمه على غيره في الإمامة وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة ، فيدخل فيهم الإمامية ، والجارودية من الزيدية ، والإسماعيلية غير الملاحدة منهم ، والواقفية والقطعية [١] .

٢ ـ الشيخ المفيد في كتاب الموسوعة كما نقله عن المؤلف قال : الشيعة هم من شايع علياً وقدّمه على أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله ، واعتقد أنّ الإمام بوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله أو بإرادة من الله تعالى نصاً كما يرى الإمامية أو صفة كما يرى الجارودية [٢] .

٣ ـ النوبختي في كتابه فرق الشيعة قال : الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب المسمّون بشيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله وبعده ، معروفون بانقطاعهم إليه ، والقول بإمامته ، منهم : المقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، وأبو جندب بن جنادة الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم ممن وافقت مودّته مودّة علي عليه السلام وهم أوّل من تشيّع من هذه الأمّة ؛ لانّ التشيّع قديم [٣] .

---

[١] الشهيد الثاني ، شرح اللمعة ، ٢٨٨/٢ .

[٢] جعفر الخليلي مدخل موسوعة العتبات المقدسة ، ص٩١ .

[٣] النوبختي ، فرق الشيعة ، ص٢٨ .

٤ ـ يقول أبو حاتم الرازي : إنّ الشيعة لقب قوم كانوا قد ألفوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حياة الرسول وعرفوا به مثل سلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر ، وقد كانوا يقال لهم شيعة علي وأصحاب علي إلى أن آن أوان صفين ، فاشتهر بين موالي علي [١] .

٥ ـ الشهرستاني في الملل والنحل قال : الشيعة هم الذين شايعوا علياً ، وقالوا بإمامته وخلافته إمّا نصاً جلياً ، وإمّا خفياً ، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده [٢] .

٦ ـ محمّد فريد وجدي قال : الشيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته ، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده ، ويقولون بعصمة الأئمة من الصغائر والكبائر ، والقول بالتولّي ، والتبري قولا وفعلا إلاّ في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم ، وهم خمس فرق : كيسانية ـ زيدية ـ إمامية ـ إسماعيلية وغلاة [٣] .

٧ ـ ابن الأثير في مادة (شيع) : وأصل الشيعة الفرقة من الناس ، وتقع على الواحد والاثنين والجمع ، والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى

---

[١] كتاب الزينة ، مخطوط ، وأبو حاتم من أعلام القرن الرابع وتوفي ٣٢٢هـ.

[٢] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص١٠٧ .

[٣] فريد وجدي، دائرة المعارف، ٤٢٤/٥.

واحد وقد غلب هذا الاسم على كل من يزعم أنّه يتولّى علياً ﵁ وأهل بيته ، حتّى صار لهم اسماً خاصاً ، فإذا قيل فلان من الشيعة عرف أنّه منهم ، وفي مذهب الشيعة كذا ، أي : عندهم . وتُجمع الشيعة على شيع ، وأصلها من المشايعة ، وهي المتابعة والمطاوعة [١] .

٨ ـ أحمد أمين في فجر الإسلام قال : إن التشيع لعلي بدأ قبل دخول الفرس في الإسلام ، ولكن بمعنى ساذج ، وهو أنّ علياً أولى من غيره من وجهتين : كفايته الشخصية ، وقرابته للنبي [٢] .

وممّا سبق يتّضح أنّ نظر الباحثين على اختلاف مذاهبهم، هو أنّ الأساس في تعريف الشيعة هو تقديم علي بن أبي طالب على غيره من أصحاب النبي ﷺ ، سواء كان لوجود نص أو صفات اختص بها ولم تتوفر في غيره ، وهنا يظهر بوضوح أنّ الإمامة في مذاهب الشيعة ليست بالانتخاب ، ولكن بالتعيين أو الوصية من إمام لآخر ، من ولد علي خاصّة ، وأنّها وليدة النصوص ، وبذلك فهي امتداد للنبوّة .

وبهذا المنطق نقول : إنّ التشيع في بداياته ونهاياته واحد ، وأنّ التطوّر الحاصل فيه ، ما هو إلاّ تبرعم أفكار مستنبطة من الأُصول ، وثمرة البحث في الحجج والأفكار .

ولكن إذا كان هذا النبت غير طبيعي ، وقد اختلط بتعاليم غير إسلامية

---

[١] ابن الأثير ، النهاية ، ٢/٥٢٠ .

[٢] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص٤٣٩ .

كما يزعم البعض ، فلابد أن نطرح سؤالا ونقول : متى بدأ التشيع؟

ولكن قبل الإجابة على السؤال نقول : إنّ الشيعة ذهبت إلى أن آيات من القرآن تدل على صدق ما ذهبوا إليه من أنّ علياً عليه السلام هو الوصي والإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله .

لقوله تعالى ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1] وسمّيت هذه الآية بآية الولاية .

وقد ذهبوا إلى أنّه إمام المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لأنّ لفظ إنّما يفيد الحصر ، و(وليكم) يفيد من هو أولى بتدبير الأمور فيجب طاعته ، وهي نزلت في علي عليه السلام بلا خلاف .

وآية المباهلة ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[2] وقد ورد بأنّ النبي صلى الله عليه وآله باهل بأهل بيته عليهم السلام وهم الحسن والحسين وفاطمة وعلي ابن أبي طالب ، وهم أحق بالخلافة من غيرهم من الذين سبقوا الإمام علي عليه السلام . وقول الله تعالى (أنفسنا) المراد به هو الإمام علي الذي هو كنفس النبي صلى الله عليه وآله ومن كان كذلك فمن يسبقه؟!

وقد ذكر الطبري روايات عدّة تؤيّد ما ذهب إليه الشيعة في آية

---

[1] المائدة : ٥٥ .

[2] آل عمران : ٦١ .

الولاية ، منها : رواية عن إسماعيل بن إسرائيل قال : ثنا أيوب بن سويد قال : ثنا عتبة بن أبي حكيم في هذه الآية ﴿**انَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَرَسُولُهُ**﴾[1] قال : علي بن أبي طالب .

وذكر في الرواية الثانية : أنّ الحارث قال : ثنا عبد العزيز قال : ثنا غالب بن عبيد الله قال : سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى ﴿**انَّمَا وَلِيُّكُمُ الله**﴾ : نزلت في علي بن أبي طالب ، تصدّق وهو راكع ، وجاء بمثل هذه الروايات ابن كثير والزمخشري وغيرهما .

متى بدأ التشيع :

للرجوع إلى أصل التشيع وبذرته التاريخية ، وما هي أرضيته وعوامل تكوينه ، وهل هي عملية عاطفية أم عقلائية انتهى إليها معتنقوها بمعاناة وتقييم واعيين؟

ولمّا كان هذا الأمر ممّا يُختلف فيه تبعاً لاستنتاج الباحثين وانتماءاتهم ، وما يترجّح لديهم من مرجّحات فلا بدّ من تقديم نماذج من آراء الباحثين في هذا الموضوع ، وسأعرض بعض هذه النماذج ومناقشتها :

ذهب البعض إلى أنّ التشيع نشأ بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وهم : ابن خلدون في تاريخه قال : إنّ الشيعة ظهرت لمّا توفي النبي صلى الله عليه وآله وكان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر ، وأنّ الخلافة لرجالهم دون سواهم

---

[1] المائدة : ٥٥.

من قريش ، وكان جماعة من الصحابة يتشيّعون لعلي ، ويرون استحقاقه على غيره ، ولمّا عدل به إلى سواه تأففوا من ذلك [١] :

أحمد أمين قال : وكانت البذرة الأولى للشيعة ، الجماعة الذين رأوا بعد وفاة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه أنّ أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه [٢] .

حسن إبراهيم قال : ولا غرو فقد اختلف المسلمون إثر وفاة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه فيمن يولّونه الخلافة ، وانتهى الأمر بتولية أبي بكر ، وأدّى ذلك إلى انقسام الأمّة العربية إلى فريقين جماعية وشيعية [٣] .

اليعقوبي قال : ويعد جماعة من المتخلّفين عن بيعة أبي بكر هم النواة الأولى للتشيّع ، ومن أشهرهم سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفارى ، والمقداد بن الأسود ، والعباس بن عبد المطلب [٤] .

وإنّ ما عليه جمهور الباحثين والمؤرّخين الذين ذهبوا إلى أنّ التشيّع ظهر بعد وفاة النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه وخاصّة يوم السقيفة ، فإنّ هذا يعدّ دليلا على وجوده في حياة النبي ؛ لأنّه من غير المعقول أن يتبلور هذا الفكر في يومين من وفاة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَآلِه حتّى السقيفة ، ويتّخذه الناس مذهباً لهم بميزته وخواصّه الفكرية ، ولهذا ذهب باحثون آخرون إلى تخطئة من يؤرّخ للشيعة في عصور متأخرة مع أنّ الأحداث التاريخية شديدة

---

[١] تاريخ ابن خلدون ، ٣٦٤/٣ .

[٢] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص٤٣٩ .

[٣] دكتور حسن إبراهيم ، تاريخ الإسلام السياسي ، ٣٧١/١ .

[٤] أحمد بن أبي يعقوب ، تاريخ اليعقوبي ، ١٠٤/٢ .

الدلالة على وجود التشيّع لعلي في حياة النبي ﷺ ، وفي هذا يقول الطبري : تعليقاً على قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [1] ودعاهم إلى إتّباعه فلم يجب إلاّ علي بن أبي طالب ، فأخذ النبي برقبته وقال : هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا [2] .

ومن الخطأ أيضاً أن يقال : إنّ الشيعة إنّما ظهروا لأوّل مرّة عند انشقاق الخوارج ، بل كان بدء التشيّع وظهوره في عصر رسول الله ﷺ حين أمره ربّه بإنذار عشيرته [3] .

وذهب الشيعة وغيرهم من المحققين إلى أنّ التشيّع ولد أيام الرسول ﷺ وهو الذي غرسه في نفوس أصحابه عن طريق الأحاديث التي جاءت عن النبي في حق عليّ ومكانته ، وهذا ما رواه أهل العلم من سنّة وشيعة ، فقد روى السيوطي عن ابن عساكر عند تفسيره الآيتين

السادسة والسابعة من سورة البيّنة بسنده وعن جابر بن عبد الله قال : كنّا عند النبي ﷺ فأقبل علي ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، فنزل قوله تعالى ﴿**انَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ [4] وأخرج ابن عدي عن ابن

---

[1] الشعراء : ٢١٤ .

[2] محمّد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ٢١٦/٦ ، وابن الأثير ، النهاية ٢٨/٢ .

[3] يحيى فرغل ، عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ١٠٥/١ .

[4] البينة : ٧ .

عباس قال : لمّا نزلت ﴿**انّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات أولئكَ هم خَيرُ البَريّة**﴾ قال النبي ﷺ لعلي : هم أنت وشيعتك .

وأخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : ألم تسمع قوله تعالى ﴿**انّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات أولئكَ هُمْ خَيْرَ البَريّة**﴾ : هم أنت وشيعتك ، وموعدي ، وموعدكم الحوض إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غراً محّجلين [١] .

وذهب أبو حاتم الرازي إلى أنّ أوّل اسم في الإسلام ظهر هو الشيعة ، وكان هذا لقب أربعة من الصحابة ، وهم : أبو ذر ، وعمار بن ياسر ، والمقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، ولمّا آن أوان صفين اشتهر موالي علي بهذا اللقب [٢] .

وعندما نزل قوله تعالى ﴿**وَأَنْذرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ**﴾ [٣] قال الطبري : إنّ النبي ﷺ دعا علياً ، وأمره أن يصنع طعاماً ، ويدعوا آل عبد المطلب ، وعددهم يومئذ أربعون رجلا ، وبعد أن أكلوا وشربوا من لبن أعد لهم قام النبي ﷺ ، وقال : يابني عبدالمطلب إنّي والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به إنّي قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه ، فأيّكم يؤازرني على هذا الأمر

---

[١] السيوطي ، الدرّ المنثور ٣٧٦/٦ . ـ جامع البيان للطبري ١٧١/١٢ ـ القنوجي البخاري ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ٣٣٧/١٥ .

[٢] الخونساري ، روضات الجنّات ، ص٨٨ .

[٣] الشعراء : ٢١٤ .

على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فأحجم القوم عنها جميعاً ، يقول علي : وقلت وإنّي لأحدثهم سناً ، وأرمصهم عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحمشهم ساقاً : أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه ، فأخذ برقبتي ثمّ قال : إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع [1] .

وكذا أورد ابن كثير في تفسيره روايات عديدة في تفسير هذه الآية ، فيها طلب العون من رجال بنى هاشم ، حتّى قام إليه علي بن أبي طالب [2] .

وأورد الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة من حديث عبد الله بن نوفل في تفسير الآية بنحو ما سبق .

هذا ما جاء في أكثر كتب أهل العلم وأسفارهم في تفسير هذه الآية ، وثبوت نزولها في علي بن أبي طالب ، وكلّها دليل على ما سبق .

وموقف النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم ، وذلك عند نزول الآية ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ [3] [4]وعند ذلك

---

[1] محمّد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ٢١٦/٢ .

[2] الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٣٦٢/٣ ، ٢٦٣ .

[3] المائدة : ٦٧ .

[4] وقد أشار المحدّثون والمفسّرون إلى نزول هذه الآية يوم الغدير ، انظر السيوطي ، الدرّ المنثور ٢٩٨/٢ ، الشوكاني ، فتح القدير ٥٧/٢ ، القندوزي ، ينابع المودّة ص١٢٠ ، المنار ٤٦٣/٦ .

أوقف ﷺ الركب ، وصنعوا له منبراً من أحداج الإبل ، خطب عليه خطبته ، وأخذ بيد علي وقال : (من كنت مولاه ، فهذا عليّ مولاه اللّهم وال من والاه ، وعاد من عداه ، وانصر من نصره ، وأخذل من خذله) .

وقد ذكر الرازي في سبب نزول الآية عشرة وجوه ، منها : أنّها نزلت في علي ، ثمّ عقب بعد ذلك بقوله : وهو قول ابن عباس ، والبراء بن عازب ، ومحمّد بن علي (الباقر) [١] .

ومن المعلوم أنّ حديث الغدير أخرجه جماعة من حفاظ أهل السنة ، وليس كما يدّعيه البعض من أنّ هذه الروايات غير صحيحة [٢] ، فقد رواه ابن حجر في صواعقه عن ثلاثين صحابيا ، ونص على أنّ طرقه صحيحة ، بعضها حسن [٣] .

وأورده ابن حمزة الحنفي مخرجاً له عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال : إنّ أسامة بن زيد قال لعلي : لست مولاي ، وإنّما مولاي رسول الله ﷺ ، فقال النبي ﷺ : كأنّي قد دعيت فأجبت إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، إن الله

---

[١] الرازي ، مفاتيح الغيب ، ٤٣١/٣ .

[٢] نقل حديث الغدير ورواه (١١٠) من الصحابة ، (٨٩) من التابعين ، (٣٥٠٠) من العلماء والمحدّثين ، انظر كتاب الغدير للعلامة الأميني .

[٣] ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة ، الباب الثاني ، الفصل التاسع .

مولاي وأنا مولى كل مؤمن ، من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه [1] .

رجال الشيعة الأوائل :

وقد أوردت كتب التراجم والرجال عدداً كبيراً من روّاد التشيّع الأوائل منهم:

جندب بن جنادة (أبو ذر الغفاري) ، عمار بن ياسر ، سلمان الفارسي، المقداد بن ثعلبة الكندي ، حذيفة بن اليمان (صاحب سرّ رسول الله ﷺ) ، خزيمة بن ثابت الأنصاري (ذو الشهادتين) ، الخباب بن الأرت الخزاعى (أحد المعذّبين في الله) ، سعد بن مالك (أبو سعيد الخدري) ، أبو الهيثم بن التيهان الأنصاري ، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، أنس بن الحرث بن منبه (أحد شهداء كربلاء) ، أبو أيوب الأنصاري خالد بن زيد (بدري) ، جابر بن عبد الله الأنصاري ، هاشم بن أبي وقاص ، محمّد بن أبي بكر ، مالك بن الحرث (مالك الأشتر) ، مالك ابن نويرة (ردف الملوك الذي قتله خالد بن الوليد) ، البراء بن عازب الأنصاري،أُبي بن كعب (سيّد القراء) ، عبادة بن الصامت ، عبد الله بن مسعود (صاحب وضوء النبي وأحد سادات القراء) ، أبو الأسود الدؤلي ، ظالم بن عمير (واضع أُسس النحو بأمر الإمام علي) ، خالد بن سعيد بن

---

[1] إبراهيم بن محمّد الحنفي ، البيان والتعريف ، ١٣٦/٢ .

أبي عامر بن أمية بن عبد الشمس (خامس من أسلم) ، أسيد بن ثعلبة الأنصاري (بدري) ، الأسود بن عيسى بن وهب (بدري) ، الحارث بن النعمان بن أمية الأنصاري (بدري) ، رافع بن خديج الأنصاري (ممن شهد أُحداً ولم يبلغ وأجازه النبيﷺ) ، كعب بن عمير بن عبادة الأنصاري (بدري) ، سماك بن خرشة أبو دجانة الأنصاري (بدري) ، سهيل بن عمرو الأنصاري (بدري) ، عتيك بن التيهان (بدري) ، ثابت بن حطيم بن عدى الأنصاري (من أهل بدر) ، سهيل بن حنيف الأنصاري (بدري) ، أبو مسعود عقبة بن عمر (بدري) ، أبو رافع مولى رسول الله ﷺ شهد المشاهد كلها وهاجر الهجرتين ، أبو بردة بن دينار الأنصاري (بدري) ، أبو عمر الأنصاري (بدري) ، أبو قتادة الحارث بن ربعي الأنصاري، عقبة بن عمر بن ثعلبة الأنصاري (بدري) ، قرظة بن كعب الأنصاري ، بشير بن عبد المنذر الأنصاري (أحد نقباء بيعة العقبة) ، يزيد بن نويرة بن الحارث الأنصاري (المشهود له من النبي بالجنة مرّتين) ، ثابت بن عبد الله الأنصاري ، جبلة بن عمير بن أوس الأنصاري ، حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي ، زيد بن أرقم الأنصاري ، أعين بن ضبيعة بن ناجية التميمي ، الأصبغ بن نباتة ، جبلة بن ثعلبة الأنصاري ، يزيد بن الأسلمي ، تميم بن خزام ، ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي) ، جندب بن زهيرالأزدي ، جعدة بن هبيرة المخزومي ، حارثة

ابن قدامة التميمي ، جبير بن الجناب الأنصاري ، حبيب بن مظاهر الأسدي ، حكيم بن جبلة العبدي الليثي ، خالد بن أبى دجانة الأنصاري ، زيد بن صوحان الليثي ، الحجاج بن غاربة الأنصاري ، زيد بن شرحبيل الأنصاري ، بديل بن ورقاء الخزاعي ، أبوعثمان الأنصاري ، ثعلبة أبو عمرة الأنصاري ، أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي ، سعد بن الحارث بن الصمد الأنصاري ، زيد بن جبلة التميمي ، مسعود بن مالك الأسدي ، عبد الله بن حزام الأنصاري ، سعد بن منصور الثقفي ، الحارث بن عمر الأنصاري ، سليمان بن صرد الخزاعي ، شرحبيل بن مرة الهمداني ، شبيب بن رت النميري ، سهل بن عمر ، حرملة بن المنذر الطائي أبو زبيد ، سهيل بن عمر ، عبد الرحمن الخزاعي ، أويس القرني الأنصاري ، عبد الله بن سليم العبدري ، عبيد بن التيهان الأنصاري (أوّل من بايع النبي ﷺ ليلة العقبة) ، أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس من أمراء السرايا أيام النبي ﷺ هذه جملة ممّن بايعوا علياً ، وجاء ذكرهم في كتب الرجال المتعددة [1] .

يقول الذهبي في تاريخ الإسلام : عامر بن واثلة بن عمرو الليثي الكناني (أبو الطفيل) آخر من رأى النبي ﷺ في الدنيا بالإجماع ، وكان من شيعة علي ، وقد لقاه معاوية بالشام ، فقال له : كيف حبّك لعلي؟

---

[1] الكامل للمبرد ، رغبة الأمل ج٧ ، ص١٣٠ ، أسد الغابة ج١ ، ص٣٥ ، فجر الإسلام ص٢٢٧ ، الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ، ص٢٨٠ .

قال : حب أم موسى لموسى ، وإلى الله أشكو التقصير [1] ، ثمّ أنشد :

فإن تكن العداوة قد أكنت فشر عداوة المرء السباب [2]

وفي الاستيعاب في ترجمة أبي الطفيل : روى نحو أربعة أحاديث ، وكان محبّاً لعلي ، وكان من أصحابه في مشاهده ، وكان ثقة مأموناً [3] .

ونحب أن نقول : أنّنا خلال المراجعات الكثيرة لكتب التاريخ لم نر من هؤلاء من عمد إلى شتم أو تجريح أحد من الصحابة ـ في الفترة التي تمتد من بعد وفاة النبي حتّى نهاية خلافة الخلفاء ـ حتّى في أشد جمحات عاطفة الولاء . نعم ، من قيّم الخلفاء .

بل حتّى في عهود الأمويين كان معظم الشيعة يتورعون عن شتم أحد من الصحابة ، يقول ابن خلكان في ترجمة يحيى بن يعمر : كان شيعياً من القائلين بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم [4] .

يقول أبو الأسود الدؤلي :

أحب محمّداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى عليا
أحبهم لحب الله حتّى أجيء إذا بعثت على هويا
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إليا

---

[1] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ٢٠٧/٣ .
[2] ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ٢٨٠/١ .
[3] ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٩٣/٢ .
[4] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٦٩/٢ .

فإن يك حبهم رشداً أصبت ولست بمخطيء إن كان غيا

بين الشيعة والرافضة :

نود في البداية أن نقول : هل الشيعة هم الرافضة؟

وللإجابة عن هذا السؤال يجب أن نبدأ أولا في البحث عن معنى الكلمة ، وبداية هذه التسمية ، ومن أين أتت؟

١ ـ **تاج العروس** : الروافض كل جند تركوا قائدهم ، والرافضة فرقة منهم ، والرافضة أيضاً فرقة من الشيعة . قال الأصمعي : سمّوا بذلك ؛ لأنّهم بايعوا زيد بن علي ، ثمّ قالوا له تبرأ من الشيخين فأبى قال : لا كانا وزيري جدي صلى الله عليه وآله فتركوه ورفضوه وارفضوا عنه [١].

٢ ـ **الصحاح** : مادة (رفض) ذكر نفس مضمون الزبيدي [٢]؟

٣ ـ **المعجم الوجيز** : مادة (رفض) ذكر الشي رفضاً تركه وجانبه ورماه ، طرده فهو مرفوض رفيض ، الرافضة فرقة من الشيعة تجيز الطعن في الصحابة ، سمّوا بذلك ؛ لأنّهم رفضوا نصح زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الشيخين أبي بكر وعمر ، وجمعها (روافض) [٣] ؟

٤ ـ **مقالات الإسلاميين** : وإنّما سمّوا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، وهم مجمعون على أنّ النبي صلى الله عليه وآله نص على خلافة علي بن أبي

---

[١] محمّد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٤/٥ .

[٢] صحاح الجواهري ، ١٠٧٨/٣ تسلسل عام الكتاب .

[٣] المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية مصر ، ص٢٧١ .

طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأنّ أكثر الصحابة ضلّوا بتركهم الاقتداء به بعد النبي ﷺ وأنّ الإمامة لا تكون إلاّ بنص [١].

٥ ـ **الفتاوى** : وهذا هو أصل مذهب الرافضة ، فإنّ الذي ابتدع الرفض كان يهودياً أظهر الإسلام نفاقاً ، ودسّ إلى الجهّال دسائس يقدح بها في أصول الإيمان ، ولهذا كان الرفض أعظم أبواب النفاق والزندقة [٢].

٦ ـ **الفرق بين الفرق** : ثمّ افترقت الرافضة بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة أصناف : زيدية ، وإمامية ، وكيسانية ، وغلاة [٣].

٧ ـ **العواصم من القواصم** : تحت عنوان ما أدخلته الشيعة في التاريخ الإسلامي (ملحق) بقلم : صالح بن عبد الله المحسن ، عميد كلية الدعوة وأصول الدين يقول : وبدعة الرفض هي أوّل بدعة أسست لهذا الغرض ، وأوّل مكيدة دبّرت تحت هذا الستار ، وهي الفتنة الكبرى التي دبّرت ضدّ عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وهو ثالث الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، فإنّ هذه الفتنة بدأت بإشاعة وتلفيق الأخبار المكذوبة أو المروية على غير وجهها الصحيح ، وذلك لتأليب الجهّال وغوغاء الناس عليه ، ممّا أدّى إلى قتله ، والذي خطط ونفّذ هذه الفتنة هو عبد الله بن سبأ اليهودي [٤].

---

[١] أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ١٦/١ .

[٢] ومن حقّنا أن نسأل من هم الجهّال ، هل أبو ذر الذي أشاعوا عنه بأنّ الذي ألبّه على معاوية وعثمان كان عبد الله بن سبأ ، فهل هذا من حسن الأدب مع أصحاب رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟! انظر : فتاوى ابن تيمية ٣٢٨/٤ .

[٣] عبدالقاهر بغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٠ .

[٤] أبو بكر بن العربي ، العواصم من القواصم ، ص٢١٩ .

٨ ـ **مصادر مختلفة** : زيد بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب (أبو محمّد) كان قد بايعه خلق في أيام هشام بن عبد الملك ، وشجّعوه على الخروج ، وحارب متولي العراق يوسف بن عمر الثقفي ، فظفر به يوسف ، فقتله وصلبه ، وبقي مصلوباً مدّة ، قال الذهبي : أربع سنوات .

وحين خرج جاءت طائفة كبيرة ، وقالوا : تبرّأ من أبي بكر وعمر ، ونحن نبايعك ونحارب معك ، فأبى ، فقالوا : إذن فنحن نرفضك ، فسمّي هؤلاء بالرافضة ، وبقي اسم (الزيدية) على من بقي معه ، وقد اختلف في عام وفاته ، فقيل : ١٢٠ ، وقيل : ١٢١ ، وقيل : ١٢٢ هـ .

وممّا سبق نقول : إنّ الرفض هو الطرد والترك ، والرافضة فرقة من الشيعة ، أي : جزء من الكل ، وهي الفرقة من الجيش التي تترك قائدها .

وأمّا التعريف الذي ساقه أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين لم يفرّق بين الشيعة (الكل) وبين الرافضة (الجزء) ، وهذا تعريف في غاية القصور . وكذلك فعل عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق .

وأمّا ابن تيمية فبعمد أراد أن يثير أكبر حملاته في الهجوم على الشيعة كفرقة ، فخلط بينها وبين السبئية ، والتي هي مترسّخة في الوعي العام للناس ، وأنّهم كفّار خارجين عن الملة ، وبذلك أراد أن يسحب هذه على تلك ، ثمّ أضاف إليهم الرفض ؛ لكي يشتركوا جميعاً في حكم

واحد ، وهو الكفر ، وهو نفسه القائل في موضع آخر ما نصّه (وأمّا لفظ "الروافضة" فهذا أوّل ما ظهر في الإسلام لمّا خرج زيد بن علي بن الحسين ، في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك) [١].

ولنا أن نسأل : أنسي ما قد كتب؟!

وأين هي أمانة الكلمة؟!

وكذلك فعل صالح بن عبد المحسن دون أمانة علمية أو حيدة في البحث والتأليف ، ونسأل الله العافية .

وأمّا المصادر الباقية بقيت على ما هو الثابت والمعروف ومن أنّ الشيعة هي (الكل) ، وأنّ الرافضة هي فرقة ظهرت في مطلع أو بعد المائة الأولى حينما اختلفوا مع أميرهم وإمامهم زيد بن علي ، ولم يلتزموا بعقيدته في الشيخين أبي بكر وعمر .

وكلام البعض من أنّ الزيدية هم من الشيعة الذين اتّبعوا زيداً ، وأمّا الرافضة هم الذين اتّبعوا جعفر بن محمّد (الصادق) فهو بهتان عظيم . ولنعلم أنّ جند زيد لم يحاربوا معه إلاّ لأنّهم يؤمنون بفضله ، وهم لا يجدون غضاضة في الموت معه أملاً في النصر أو الشهادة متمركزون حول قضية هامة ، وهي أحقّية؟! آل البيت بالإمامة ، فهل زيد لم يعرف جنده إلاّ وقت المعركة؟! أم أنّ الجند كانوا يجهلون إمامهم ، وهو يخلفهم

---

[١] ابن تيمية ، مجموع الرسائل الكبرى ، فصل الفرقان بين الحق والباطل ، ٢٧/١ .

في مساجدهم يعظهم ويعلّمهم ولم يعلم عقيدتهم ، وأرادوا أن يعرفوا عقيدته ويطابقونها مع عقيدتهم في تلك السويعات العصيبة ، ولمّا اختلفوا عليه تولّوا جعفر محمّد بن علي (الصادق)؟!

خلاصة القول :

إنّ الشيعة فرقة قديمة لها أصولها العقائدية الثابتة في كتبهم ، والتي لا تخرج عن أصول الإسلام كما مرّ ، وأنّ السبئية فرقة غيرهم ، وسوف تمرّ دراستها في حينها من الكتاب نفسه، وأنّ (الرافضة) لا تعدوا غير فرقة من الشيعة كانت في جيش زيد بن علي حينما ناهض هشام بن عبد الملك لم تلتزم بعقيدته ، ورفضوا نصحه ، وفارقوا جماعته كما يقال ، ولمّا قتل يوسف بن عمر الثقفي زيد بن علي بأمر من هشام بن عبد الملك وصلبه ـ وهذا أمر موحش يذم فاعله ـ فأراد هشام وآخرون أن يلبسوا الأمر على الناس ، فأشاعوا أنّ الشيعة دفعوا زيد للخروج على هشام ، ثمّ تركوه في ساعة الحسم ، فهم رافضة .

نعم ، أرادت السلطة ومن تبعها أن تضيّع معالم جريمتها في حق الشريف بن الشريف ، ولمّا طاب لهم ما صنعوا أرادوا أن يطلقوا هذا الاسم على الشيعة كلّها لتتحمّل ما صنعوه في تاريخ الإسلام فادّعوا باطلا أنّ الشيعة الروافض هم الذين ألّبوا الناس على عثمان ، وحاصروه ثمّ قتلوه ، وهم الذين أجّجوا حرب الجمل ، وهم المسؤولون عمّا وقع في صفين ، وربما هم الذين تقرأ عنهم بعد أعوام أنّهم ضيعوا فلسطين ، وهم

من سيهدموا الكعبة ، وهم من تسبب في احتلال الكويت ومحاصرة العراق ، وربما هدموا برجي التجارة العالمية في نيويورك ، وطالما ليس هناك من يوقف قائمة الاتهام ، ومادام يوجد بائعون للأقلام ، وباحثون عن الشهرة ، ورضى السلطان ، سوف تجد الكثير ممن يؤجج نار الفرقة ، ويفسد روح الوحدة ، ومن يوقف كتب ومطابع ويكتب عليها وقفاً لله في تقطيع أوصال الأمّة ، وبلادهم مستعمرة ، وأموالهم يتلاعب بها الملاحدة ، وكذلك عقولهم !! يا قومنا أليس منكم رجل رشيد .

قال الشافعي حينما أراد أن يفسد هذا الفخ اللعين :

يا راكباً قف بالمحصَّب من منى
واهتف بقاعده جمعها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى
فيضاً كملتطم الفرات الفائض
أعلمتم أنّ التشيع مذهبي
إنّي أقول به ولست بناقض
إن كان رفضاً حب آل محمّد
فليشهد الثقلان أنّي رافضي [1]

شتم الصحابة :

اعلم أنّ السباب خلق قبيح ، ولا يجوز لمسلم أن يكون شتّاماً أو

---

[1] الزبيدي ، تاج العروس ، ٣٥/٥ .

سبّاباً ، ويجب أن يكون له في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة ، فقد كان صلى الله عليه وآله خلقه القرآن ، ولم يبعث إلاّ ليتمم مكارم الأخلاق ، أنّ الذين جعلوا السباب في حق الأمّة سنة فعليهم وزره ووزر من عمل به لا ينقص منه شي إلى يوم القيامة .

واعلم أنّ الشيعة أنصار علي وآل البيت ، وليس من خلقهم السب والشتم ، وأنّ وجود جماعة شتّامين في الأزمنة المتأخرة سببه ما تعرّضت له الشيعة من التنكيل والإبادة على الظنة والتهمة ، ومحاربتهم في أرزاقهم ، ومنعهم من عطائهم ، وعزلهم سياسياً واجتماعياً .

وإنّ مثل هذا الاضطهاد يستلزم التنفيس ،وقد يكون هذا التنفيس في عمل إيجابي كالثورات ومحاربة الظلم أو بعمل سلبي كالسباب.

واعلم أنّ الذي أسس هذه البدعة هم الأمويون بشتمهم الإمام علي عليه السلام على منابرهم ولعنه وآل بيته بعد كل صلاة مكتوبة حتّى غلب على ظن العامة أنّ الصلاة لا تصح إلاّ بلعن (أبي تراب)[1] . روى الواقدي أنّ معاوية لمّا عاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحسن عام واحد وأربعين خطب فقال : أيّها الناس إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّك ستلي الخلافة من بعدي فاختر الأرض المقدسة فإنّ فيها الأبدال وقد أخبرتكم فالعنوا أبا تراب [2] .

---

[1] خطط المقريزي ، ١٥٢/٤ .

[2] محمود أبو رية ، أضواء على السنة المحمّدية ، ص١٠٣ .

وفي البخاري ومسلم حدّثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : استعمل على المدينة رجل من آل مروان فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم علياً قال : فأبى سهل فقال له : أمّا إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب ، فقال سهل : ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب ، وإن كان ليفرح إذا دعي بها [١] .

وفي مسلم حدثنا قتيبة بن سعيد ومحمّد بن عباد قالا :

حدثنا حاتم عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: "أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب... [٢] ".

وكان ممن بقي من أصحاب حجر بن عدي عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي قالا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين ، فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته ، فبعثوا إلى معاوية يخبرونه بمقالتهما ، فبعث إليهم أن ائتوني بهما ، فلمّا دخلا عليه قال الخثعمي : الله الله يا معاوية فإنّك منقول من هذه الدار الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثمّ مسؤول عمّا أردت بقتلنا ، وفيم سفكت دماءنا ؟ فقال معاوية : ما تقول في علي؟ فقال : أقول فيه قولك . قال : أتبرأ من دين علي الذي

---

[١] البخاري ٢٣/٥ ، ومسلم ١٨١/١٥ ـ ١٨٢ . نقلا عن الوقوف على ما في صحيح مسلم من الموقوف ابن حجر .

[٢] ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ٧٦. مسلم ١٧٥/١٥ .

كان يدين به ، فسكت ، وكره معاوية أن يجيبه ، فقام ابن عم له فاستوهبه من معاوية ، فحبسه شهراً ثمّ خلّى سبيله على أن لا يدخل الكوفة .

ثمّ أقبل على عبد الرحمن العنزي فقال : إيه يا أخا ربيعة ما قولك في علي؟ قال : دعني ولا تسألني فإنّه خير لك .

قال: والله لا أدعك حتّى تخبرني عنه .

قال : أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً ، ومن الآمرين بالحق ، والقائمين بالقسط ، والعافين عن الناس .

قال : فما قولك في عثمان؟

قال : هو أوّل من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحق .

قال : قتلت نفسك . قال : بل إياك قتلت ، ولا ربيعة بالوادي ، فبعث به معاوية إلى زياد ، وكتب إليه : أمّا بعد فإنّ هذا العنزي شرّ من بعثت ، فعاقبه عقوبته التي هو أهلها ، واقتله شرّ قتلة [1] .

وقد نقم جماعة من المسلمين على معاوية هذه الأحداث العظيمة ، وهذا الحسن البصري يقول : أربع خصال كنّ في معاوية لو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤه على هذه الأمّة بالسيف ، واستخلافه بعده ابنه يزيد سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ، ويضرب بالطنابير ، وادّعاؤه زياداً ، وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله "الولد للفراش ، وللعاهر الحجر" ،

---

[1] تاريخ الطبري ، حوادث سنة ٥١ هجرية ، ١١١/٢ ـ ١٤٣ .

وقتله حجر بن عدي وأصحابه ، فيا ويلا له من حجر وأصحاب حجر [١] .

ولمّا حجّ معاوية جاء إلى المدينة زائراً فاستأذن على عائشة فأذنت له ، فلمّا قعد قالت له : يا معاوية أمنت أن أخبىء لك من يقتلك بأخي محمّد بن أبي بكر ؟ فقال : بيت الأمان دخلت . قالت : يا معاوية أما خشيت الله فى قتل حجر وأصحابه؟!

قال : إنّما قتلهم من شهد عليهم!!

ويقول ابن تيميّه : (قد كانت الفتنة لمّا وقعت بقتل عثمان ، وافترقت الأمّة بعده ، صار قوم ممن يحب عثمان رضي الله عنه ويغلو فيه ينحرف عن علي رضي الله عنه ، مثل كثير من أهل الشام حتّى كان إذ ذاك يسب علياً رضي الله عنه ويبغضه) [٢] .

ولا أعلم لماذا لم يذكر محرّك هذا السباب ، وهل هو غير وليها؟!

وابن تيمية يؤلف كتابه الصارم المسلول في كفر من شتم الرسول أو أحد أصحاب الرسول ، ويحشد فيه الأدلة على كفر الشاتم ، ولكن مع ذلك ومع علمه بما فعله ملوك بني أمية من شتم الإمام علي وأهله لا يقول فيهم إلاّ كل خير ، لكنّه يقول : بكفر الشيعة ، وهم الضحايا ، وكثيراً ما ينعتهم بالروافض، كما يحلو له أن يسمّيهم قاصداً أموراً [٣] .

---

[١] النهاية ، ابن الأثير ١٩٣/٣ ، محاضرات الراغب الأصفهاني ٢١٣/٢ .

[٢] ابن تيمية ، الرسائل الكبرى ، ٣٠٤/١ .

[٣] المرجع السابق، ٧٤/١.

فلا ريب عنده أنّ المعتزلة خير من الرافضة ، فإنّ المعتزلة تقر بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان [1] .

استشهاد الحسين بن علي عليه السلام ووكلاء بني أمية

ويذهب ابن تيمية في حديثه عن الأمويين أنّهم تابوا ، وقد اطّلع هو فعلم أنّ الله قد عفا عنهم وغفر لهم . وقال عن يزيد بن معاوية : ولد يزيد ابن معاوية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يدرك النبي صلى الله عليه وآله ، ولا كان من الصحابة باتّفاق العلماء ، وكان من المشهودين لهم بالدين والصلاح ، وكان من شبان المسلمين ، ولا كان كافراً ولا زنديقاً ، وتولّى بعد أبيه على كراهية بعض المسلمين ، ورضا من البعض!! وكان فيه شجاعة وكرم ، ولم يكن مظهراً للفواحش ، كما يحكي عنه خصومه .

وجرت في إمارته أمور عظيمة ، أحدها : قتل الحسين رضي الله عنه .

ولم يأمر بقتله ، ولا نكت القضيب على ثناياه رضي الله عنه ، وكان قتله رضي الله عنه ، من المصائب العظيمة ، فإنّ مقتل الحسين وقتل عثمان غيلة كان من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمّة ، وأمّا الأمر الثاني : فإنّ أهل المدينة النبوية نقضوا بيعته ، وأخرجوا نوّابه وأهله ، فبعث إليهم جيشاً وأمره إذا لم يطعوه ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاث [2] .

---

[1] المرجع السابق، ٧٤/١.

[2] المرجع السابق ٣٠٦/١ ـ ٣٠٧.

وهنا لنا أكثر من وقفة مع ابن تيمية :

أ ـ إنّ بيعة يزيد على ما صح في روايات أهل العلم حينما أعلن قائلهم (المغيرة) الإمام هذا (معاوية) فإن هلك فهذا (يزيد) ، ومن أبى فهذا (السيف) . فكما أنّ معاوية نازع أمراً لم يكن من أهله ؛ وذلك لأنّه ليس له سابقة في الإسلام ، بل إنّه من الطلقاء المؤلفة قلوبهم ، وفي حديث سعد تمتّعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومعاوية كافر بالعروش [1] أي : قبل إسلامه [2] .

وكذلك فعل قبل موته بحمل يزيد على رقاب الناس غصباً ، ولقد تولّى على كراهية من الناس ، فيزيد ليس من أهل الحل والعقد الذي لم يكن أبوه منهم ، وليس من الصحابة ، وحتّى لا يُحيلنا أحد على ولاية المفضول على الفاضل ، فإنّ يزيد ليس له ما يؤهّله وفي الأمّة قمم شامخات ، وبهذا فقد أحدث معاوية أمراً لم يكن في الأمّة وهو ولاية العهد والخروج بالبيعة من الخلافة والشورى إلى القسر والوراثة .

ورغم أنّ معاوية صالح الحسن بن علي على أن يتولّى الإمارة ما بقي بشروط ، فإن مات فالأمر للحسن ولبيعة المسلمين ، ولكنّه خالف الشروط ونصب يزيداً .

وقد أرسل يزيد إلي والى مكة والمدينة يأمره بأخذ البيعة من

[1] العرش : بيوت مكة . وقيل : معناها أنّه مقيم مختبىء بمكة .

[2] ابن الأثير ، النهاية ، ١٨٨/٤ .

الحسين وبني هاشم والزبير وعبد الله بن عباس ، أو أن يضرب عنقهم عند المخالفة . فأين موضع الرضا؟! وأين يزيد وأمثاله من ابن عباس وابن الزبير والحسين بن علي؟! وهل أهل الشام كأهل مكة والمدينة؟!

ب ـ لا نعرف ماذا أراد ابن تيميّة على وجه الخصوص من أنَّه لم يكن مظهراً للفواحش ، الكعبة من الفاحشة؟! أم قتل أهل المدينة حرم الله وحرم رسوله من اللمم أم قتل الحسين أم ماذا!... ولعله يقصد الدفاع عنه ، وأنّه لم يستبيح الغناء و الخمر ، ففعل مثل الذين يسألون عن دم البراغيث ، وهم يخوضون في دماء الناس .

ج ـ هذه ريّا حاضنة يزيد تشهد عليه بقرع الثنايا ، وهو يقول شعر ابن الزبعرى ، وتقول : دنوت من رأس الحسين فنظرت إليه وبه ردخ من حنّاء ، والذي أذهب نفسي وهو قادر أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب في يده ، ويقول أبيات من شعر ابن الزبعرى [١] :

ليت أشياخي ببدر شهدوا | جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم | وعدلنا ميل بدر فاعتدل

قال الشعبي وزاد فيها يزيد :

لعبت هاشم بالملك فلا | خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم | من بني أحمد ما كان فعل

---

[١] خطط المقريزي ، ٢٨٩/٢ .

ولقد جابهته زينب بنت علي بجرأة محمّدية وقالت (أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الإماء ، أنّ بنا هواناً على الله او بك عليه كرامة ، وأنّ ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان . أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾؟! أمن العدل يابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك ، وسوقك بنات رسول الله سبايا؟! قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن من ولي ولا من حماتهن حمي، إلى أن قالت: ثمّ تقول غير متأثم ولا مستعظم :

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة بإراقتك دماء ذرية محمّد ﷺ ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك زعمت أنّك تناديهم فلتردن وشيكا موردهم ، فوالله يا يزيد ما فريت إلاّ جلدك ، ولا حزت إلاّ لحمك ، ولتردن على رسول الله ﷺ بما تحملت من سفك دماء ذريته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، فكد كيدك ، واسع سعيك ، وناصب جهدك ، فوالله لا تمحوا ذكرنا ولا تميت

وحينا ، ولا تدرك أمرنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل رأيك إلاّ فند وأيامك إلاّ عدد وجمعك إلاّ بدد؟ يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين [١] .

د ـ ومع هذا ـ والكلام لابن تيمية ـ فطائفة من أهل السنة يجيزون لعنه ؛ لأنّهم يعتقدون أنّه فعل من الظلم ما يجوز لعن فاعله ، وطائفة أُخرى ترى محبّته ؛ لأنه مسلم تولّى على عهد الصحابة ، وبايعه الصحابة ، وكان له محاسن ، ولم يصح عنه ما نقل عنه ، وكان مجتهداً فيما فعلة [٢] .

ولنا أن نسأل هل هذه الطائفة التي لعنته من أهل السنة؟ وعلى أيّ شي لعنته؟ وأرى أنّه ولولا الخجل لقال ابن تيميّه : ولقد ظلموا الرجل ؛ لأنّه تولّى في عهد الصحابة ، ولم يقل : وقتل الصحابة ، وحاربهم ، واستباح حرم رسول الله صلى الله عليه وآله واستباح المدينة وأهلها ، وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وآله قال : (المدينة حرم من كذا إلى كذا ، لا يقطع شجرها ، ولا يحدث فيها حدث ، من أحدث حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [٣] ، وعن جعيد عن عائشة (هي بنت سعد) قالت : اسمعت سعداً قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : (لا يكيد أهل المدينة أحد إلاّ

---

[١] أحمد بن أبي طاهر ، بلاغات النساء ، ص٢٥ .

[٢] ابن تيمية ، الوصية الكبرى ، ٣٨/١ .

[٣] ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ٩٧/٤ رقم ٢١٨٦٧ .

انماع كما ينماع الملح في الماء)[١]، ولعل الذين تحدّثوا عن توبة يزيد يمكن أن يسوقوا لك دليل توبته بقتل الصحابة يوم الحرة، وحريق الكعبة وقتال أهل مكة. ولعل أحاديث فضل المدينة ومكة وأصحاب النبي ﷺ نسخت في عهد ابن معاوية، وفي عقول الذين يرون توليته ومحبته.

وفي النهاية نسوق مثالا ممن شايعوا علياً، وقدّموه على غيره، ممن ارتفعت أيديهم عن الدماء المحرّمة، وألسنتهم عن السباب:

حينما قدم أبو الطفيل على معاوية بن أبي سفيان قال معاوية: أأنت أبو الطفيل عامر بن واثلة؟ قال: نعم.

قال معاوية: أكنت ممّن قتل عثمان أمير المؤمنين؟

قال: لا، ولكنني ممّن شهده فلم ينصره. قال: ولمَ؟

قال: لم ينصره المهاجرون والأنصار.

فقال معاوية: أما والله إنّ نصرته كان عليهم وعليك حقاً واجباً وفرضاً لازماً، فإن ضيّعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم.

فقال أبو الطفيل: فما منعك يا أمير المؤمنين، إذ تربّصت به ريب المنون أن تنصره ومعك أهل الشام؟! قال معاوية: أما ترى طلبي لدمه؟!

---

[١] المصدر السابق، ١١٢/٤.

فضحك أبو الطفيل وقال : بلى ، ولكنّي وإياك ، كما قال عبيد بن الأبرص :

لا أعرفنك بعد الموت تندبني   وفي حياتي مازوّدتني زادي

فدخل مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحكم فلمّا جلسوا نظر إليهم معاوية ، ثمّ قال : أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا : لا ، فقال معاوية : هذا خليل علي بن أبي طالب ، وفارس صفين ، وشاعر أهل العراق ، هذا أبو الطفيل .

فقال سعيد بن العاص : قد عرفناه يا أمير المؤمنين ، فما يمنعك منه؟ وشتمه القوم ، فزجرهم معاوية ، وقال : مهلاً ، فرب يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعاً ، ثمّ قال : أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل ؟ قال :

ما أنكرهم من سوء ، ولا أعرفهم بخير ، وأنشد شعراً :

فان تكن العداوة قد أكنّت   فشرّ عداوة المرء السباب [1]

هذا وغيره الكثير ممّن ارتفعت أيديهم عن الدماء المحرّمة ، وألسنتهم عن السباب ، واتّهموهم جلساء الملوك وأعوانهم بالظلم .

وعلى أيّة حال فإن هذه السنّة السيئة ـ سنّة السب ـ كانت متّبعة عند الأمويين ، وهي السبب الرئيسي لثورات الشيعة على ملوك بني أمية الذين كانوا يسبّون آل البيت على المنابر ، وعقب الصلاة ، وكانت سنّة

---

[1] ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٩٢/١ ، ١٩٣ .

متّبعة في كل مصر من الأمصار ، وكان عمّالهم ينفّذونها بلا استثناء أمثال زياد وابنه ، وخالد القسري ، ويوسف بن عمر ، والحجاج بن يوسف الذي قال عنه عمر بن عبد العزيز : "لو جاءت كل أمّة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم" [١] . وقال الأوزاعي: سمعت القاسم بن مخيمر يقول: "كان الحجاج بن يوسف ينقض عرى الإسلام عروة عروة" .

وقد علمت ممّا تقدّم أنّ لعن علي والبراءة منه كانتا سنّة متّبعة في بني أمية إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، ولكن المقريزي يقول : إنّها استمرّت إلى أبعد من ذلك حيث دخلت مصر على يد مروان عام ٦٥ هـ واستمرت إلى سنة ١٣٣ هـ [٢] .

مقوّمات الهويّة عند الشيعة :

هذا موضوع تكلّم فيه القاصي والداني ، واختلط فيه الحابل بالنابل ، وأصبحت تلوكه الألسنة ، والجميع فيه لهم موقف واحد إلاّ من رحم ربي ، وهو أنّ الشيعة فارسية المنشأ والأفكار شكلاً وموضوعاً ، ولم يحاول عاقل الوقوف على هذا الأمر ودراسته ، وهو جزء لا يتجزّأ من التّهم الباطلة التي ليس لها نهاية ؛ وذلك لمحاصرة الشيعة ، وحشد كل الأسلحة في مواجهتهم ، وسوف نبحث هذا الموضوع ، ونسوق في هذا أدلة وبراهين ، ونسأل الله التوفيق .

---

[١] ابن الأثير ، النهاية ، ٢٢٣/٣ ، ١٩٣ ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٢٥٣/٣ .

[٢] خطط المقريزي، ٣٢/٤.

إنّ التشيّع ـ كما أوردنا سالفاً ـ في اللغة معناه المناصرة والموالاة .

واصطلاحاً : هو اعتقاد بأفكار معيّنة يشكّل مجموعها مضمون التشيّع .

أقول : إذا أردنا تحديد هويّة أمّة فلابدّ من دراسة الجغرافيا السياسية (جيوبوليتيكة) لهذه الجماعة أو الأمّة ، ثمّ اللغة ، ثمّ الأصول الاعتقادية .

أوّلا : الجغرافيا السياسية :

إنّ مهد التشيّع الأوّل هو جزيرة العرب ، وهي التي شهدت حبّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرأس هذا المذهب (علي بن أبي طالب) ، ومواقفه في حياة الرسول وبعده ، وكذلك معاركه في الجمل وصفين والنهروان ، وثورات آل البيت .

إنّ الجيوبولتيكس هي دراسة البيئة الجغرافية من الناحية الطبيعية والعرقية والديمغرافية والاقتصادية ، وما يمكن أن ينتج عنها من صراعات [1] ، وشبه الجزيرة العربية المعروفة ببلاد العرب تقع في الجنوب الغربي لقارة آسيا بين البحر الأحمر غرباً ، وخليج عمان والخليج شرقاً ، وبحر العرب جنوباً، وهي عبارة عن هضبة صحراوية شديدة الجفاف عاش سكّانها بعيداً عن الصراعات الدولية المحيطة بهم ردحاً من الزمن وقامت بها حضارات ، مثل : حضارة سبأ في اليمن ، والتي انهارت بانهيار سدّ مأرب ، ونزوح أغلب سكّانها إلى وسط

---

[1] صلاح الدين حافظ ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي ، ص٤ .

الجزيرة العربية ، وبعضهم استقر بيثرب (المدينة المنورة) ، تعرّضت الأطراف الشمالية والجنوبية للسيطرة الاستعمارية من الروم والفرس والأحباش ، وكانت مكة في منتصف الطريق بين اليمن جنوباً والشام شمالاً في أحد أودية جبل السراة ، وهو الوادي الذي وصفه الله في القرآن ﴿**غير ذي زرع**﴾ ولمّا كانت هذه المنطقة شديدة الجفاف عظيمة الخطر لمن يخترقها ، فقد قامت هذه البلاد بدور الوسيط التجاري بين الشمال والجنوب ، وكانت قريش هي ملتقى هذا الطريق التجاري ، ولها مكانتها لعدّة عوامل ، منها :

العامل الأوّل : التجارة والتي تعدّ أحد أهم العوامل التي جعلت لمكة قدراً كبيراً بين العرب وخاصة قريش .

العامل الثاني : وجود الكعبة التي تمثّل قدس أقداس العرب قبل الإسلام ، وهي الرمز الجامع لحياتهم الروحية قبل البعثة المحمّدية ، والتي كان العرب يقصدونها للحج مرّة واحدة من كل عام ، حيث تبدأ شعائر الحج من الكعبة ، ثمّ المزارات المقدسة حولها .

العامل الثالث : في هزيمة جيش أبرهة ، والذي حاول هدم الكعبة لصرف الناس عنها حتّى يحجّوا إلى معبده الذي بناه في صنعاء ، لكن الله أرسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول .

ومن كل هذا فقد أصبحت مكة محل تعظيم وإجلال من الناحية الروحية ، وسوق للتجارة وتبادل السلع ، وهي أعزّ بلاد العرب ، وفيها أهل السقاية والرفادة والرياسة في الحرب والتجارة ، والعربي إنسان يعتزّ بفرديته واستقلاله ، لكنّه يلتزم بالتقاليد القبلية وأحكامها التي تمثّل له الوحدة السياسية والاجتماعية والعسكرية ، وكانت القبيلة تتكوّن من عدد من الأسر ، والزعامة في القبيلة سلطة طارئة تخضع لمقتضيات الدفاع والهجوم ؛ لذلك فإنّ لكل مرحلة زعيمها ، والذي يتم اختياره وفق مقتضيات الصراع ، وعلى هذا فإنّ اللواء يعقد للأكبر والأكثر دراية والأحكم .

ولمّا كانت حياة الصحراء الجافّة القاسية تفرض نوعاً من الصراع المستمر على الماء والكلأ والزعامة، اتّفقوا على جعل أيام من السنة أيام حرام ، يحرم فيها القتال ، وتكون فرصة للمصالحة والزواج ، ويأمن فيها الناس على أنفسهم وأموالهم .

وأمّا مكة فكان الصراع فيها أكثر من الصراع على الكلأ والماء ، فإنّ الصراع الأشد كان على خدمة الحجاج من سقاية ورفادة ورياسة ، وبعد صراع طويل اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف ، والحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار ، وبعد فترة صارت لبني عبد مناف الرياسة ، وكان يقال لهم المجيرون ، وذلك لأنّهم أخذوا لقومهم (قريش) الأمان من ملوك الأقاليم ليدخلوا في التجارة إلى بلادهم [١] .

---

[١] الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٣٦/٢ .

وبعد فترة استقرّت ألوية الشرف القيادة والسقاية والرفادة في بيت عبد مناف ، وبالتحديد في يد ولد هاشم بن عبد مناف دون بقية أخوته ، وبعد رحيل عبد شمس عن الدنيا ساورت ولده أمية أطماع في أخذ ما بيد عمّه من ألوية الشرف بالقوّة ، ووقف نوفل على الحياد ، وكادت أن تقع الحرب وتقطع صلات الرحم ، فتنافروا إلى كاهن خزاعة فقضى بنفي أمية بن عبد شمس عشر سنوات إلى منفى اختياري ، ولم يجد أمية بدّاً من الرضى بحكم ارتضاه ، فشدّ رحاله إلى الشام ليقضي بين أهلها السنوات العشرة التي كانت رصيداً لبيته الأموي من بعده ، فعلاقات المصاهرة أصبحت رصيداً لحفيده معاوية [1] .

وقامت الدولة الإسلامية بزعامة النبي صلى الله عليه وآله وجهود ابن عمّه الإمام علي عليه السلام ، الذي كان عضده منذ اللحظة الأولى من الدعوة ، وفضل لا ينكر لأهل الحرب والحلقة اليثاربية وخؤولتهم ولكن مع ذلك كلّه ظلّ الأمويون يترقّبون الفرص حتّى ما بعد اتّساع الدولة والفتوحات ، وعندما سنحت الفرصة اقتنصوها ، واستولوا على الحكم استيلاء صريحاً بعد أن كان ضمنياً باستبعاد علي عليه السلام بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وساعتها تجلّت مشاعرهم اتجاه بني عمومتهم في المجازر الأموية التي راح ضحيّتها آل بيت النبوة ، وكل من أيّد البيت الهاشمي حتّى امتدّت يد الانتقام الحمقاء إلى الحسين سبط المصطفى صلى الله عليه وآله، ووصل بهم الهوس

---

[1] محمّد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ١٣٢/٢ .

إلى حرق بيت الله الحرام بالمجانيق ، وهي مشاعر حقد عبّر عنه لسان يزيد بن معاوية (الحاكم الأموي) بأبيات منسوبة لابن الزبعرى

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم انتقم من بني أحمد ما كان فعل[١]

وكان أفضل ما اتّفقت عليه قريش قبل البعثة هو حلف الفضول الذي كان بين بني هاشم وبني المطلب وأسد بن العزى وزهرة بن كلاب وتيم ابن مرة ، حيث تعاقدوا وتعاهدوا على نصرة المظلوم ، والقيام معه حتّى ترد عليه مظلمته ، وقد حضر هذا الحلف النبي صلى الله عليه وآله وقال : (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ، ما أحب أنّ لى به حمر النعم لو دعي به في الإسلام لأجبت) .

وهذا ما دعى إليه الحسين بن علي عليه السلام ، كان يقول للوليد بن عتبة: عند نزاع شبّ بينهما في مال كان للحسين قال : احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفى ، ثمّ لأقومن في مسجد رسول الله ، ثمّ لأدعون بحلف الفضول . قال : فقال عبد الله بن الزبير ـ وهو عند الوليد حين قال له الحسين ما قال وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ، ثمّ لأقومن معه حتّى ينصف من حقه أو نموت جميعاً .

---

[١] الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٢٧/٨، خطط المقريزي ٢٨٩/٢ .

قال : وبلغت ذلك المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ، فقال مثل ذلك . وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي ، فقال مثل ذلك . فلمّا بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتّى رضى [١] .

وقد خرجا بنو عبد شمس وبنو نوفل من هذا الحلف .

ولقد ظن أبو سفيان بن حرب أنّ هذا الصراع الدائر على الشرف والملك يجب أن يكون له نصيب فيه ، بل يجب أن يكون لبني أمية الملك والشرف ، وهذا ما فسّر صراعه وقيادته لقريش في حروب الرسول ﷺ وحتّى حينما رأى جيش النبي ﷺ يدخل مكة يقول للعباس عمّ النبي : إنّ ملك ابن أخيك أصبح اليوم عظيماً ، فيرد عليه العباس ويقول : إنّها النبوة .

نعم ، إنّها النبوة التي أسقطت الدماء والحروب والأخلاق الرذيلة ، ودعت الناس إلى الحق والعدل ، ولكن لمّا سمحت الفرصة لبني أمية ، ولعب الملك بمخيّلاتهم ، بذلوا في سبيله ما قاله خالد القسري : والله لو أعرف أنّ عبد الملك لا يرضى عنّي إلاّ بنقض هذا البيت حجراً حجراً (الكعبة) لنقضته في مرضاته .

لقد أحيى الأمويون صراعاً يدب بجذوره إلى بداية القرن الخامس الميلادي ، وقتلوا كل من وقف في طريقهم ، ولم يكفهم ، بل أشاعوا أنّ دعوة آل البيت ومن شايعهم دعوة فارسية أو يهودية أو غير إسلامية .

---

[١] السيرة النبوية لابن هشام ، ٨٧/١.

ثانياً : اللـغـة

إنّ اللغة تمثّـل للإنـسان أهـم شـيء ، فهـي الهـواء الـذي يتنفّـسه وهـي الوسيلة لإدراك الواقع وتحديد المسافات والحدود بين تعاملاتنا ، بل هي التي تشكّل الحياة ذاتها ، وهي جسر يوصل بين النفس وبـين النـاس عـن طريق ترجمة ما في خواطرنا ، وهي التي تصنع لنا حياة طبيعية .

وتمارس اللغة سلطتها على صاحبها في تفكيـره وحـدوده ، وكـأنّ لهـا يد خفية تعمل في طبقات اللاوعي حتّى تحقق ما يرنوا إليه الإنسان .

ولقد بـرع علمـاء الـشيعة فـي تأسـيس وتطـوير علـم النحـو والعـروض والبيان ، وقاموا بحلقة أُخرى من حفظ القرآن بعد تنقيطه وإعرابه .

ويعد علم النحو أوّل علـم تأسـس عنـد المـسلمين عامّـة وعنـد الـشيعة خاصّة ، أخذه أبو الأسود الدؤلي عن الإمـام علـي بـن أبـي طالـب عليه السلام، وفي هذا يقول القفطي إنّ أوّل من وضع النحو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قال أبو الأسود : دخلت علـى أميـر المـؤمنين علـي فرأيتـه مطرقـا مفكراً ، فقلت : فيم تفكّر يا أمير المؤمنين؟ فقال : سمعت ببلدكم لحنـاً ، فأردت أن أضع كتاباً في أصول اللغة العربية ، ثمّ أتيته بعـد أيـام ، فـألقي إلـيّ صـحيفة فيهـا : بـسم الله الـرحمن الـرحيم ، الكـلام : اسـم وفعـل وحرف [١] .

---

[١] القفطي ، إنباه الرواة على أنباء النحاة ، ٤/١ .

ورأيت بمصر في زمن الطلب بأيدي الوراقين جزء فيه أبواب من النحو يجمعون على أنّها مقدّمة علي بن أبى طالب التي أخذها عنه أبو الأسود الدؤلي [١]. وكان أبو الأسود الدؤلي، كما ذهب السيوطي أوّل من رسم للناس النحو أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [٢].

وقد أجمعت العلماء باللغة أنّ أوّل من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، وأنّه أخذ ذلك عن علي بن أبي طالب [٣].

وعن ابن عبيدة معمر بن المثنى أنّه قال: أوّل من وضع العربية أبو الأسود الدؤلي، ثمّ ميمون الأقرن [٤].

وقال ابن سلام الجمحي: أوّل من أسس العربية، وفتح بابها، وانتهج سبيلها، ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي، وهو ظالم بن عمرو بن سفيان ابن جندل، وكان من أهل البصرة، وكان علوي الرأي [٥].

وأهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح أنّ أوّل من وضع النحو علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وأخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وأخذ عن أبي الأسود الدؤلي نصر بن عاصم [٦].

---

[١] المرجع السابق، ٥/١.

[٢] السيوطي، المزهر، ٣٩٧.

[٣] ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤٣٥/٥.

[٤] المرجع السابق، ٤٣٦/١.

[٥] القفطي، إنباه الرواة، ١٤/١.

[٦] المرجع السابق، ٧٠٦/١.

وليس هناك دليل على أنّ هذا العلم دُوّن من قبل أحد قبل أبي الأسود الدؤلي ، وأنّ أبا الأسود نقله عن علي بن أبى طالب ، وبذلك فإنّ تدوين هذا العلم كان من جهة الشيعة ، وتتلمذ على يد أبي الأسود الدؤلي خلق كثير ، ويروى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أنّه قال : اختلف الناس إلى أبي الأسود الدؤلي يتعلّمون منه العربية فكان أبرع أصحابه عنبسة بن معدان المهري ، واختلف الناس إلى عنبسة فكان من أبرع أصحابه ميمون الأقرن [1] .

وقد حصر الرواة من أخذ عن أبي الأسود : بـ (عنبسة بن معدان ، وميمون الأقرن ، ويحيى بن يعمر ، وقتادة بن دعامة السدوسي ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ونصر بن عاصم ، وكل هؤلاء أخذوا عن أبي الأسود ، وتفاوتت مقاديرهم في العلم بهذا النوع من العربية) [2].

ولم يقتصر عمل أبي الأسود على تأسيس علم النحو ومدرسة البصرة النحوية ، بل قام بتنقيط القرآن وإعرابه ، يقول السيوطي : وهو أوّل من نقّط المصحف . قال الجاحظ : أبو الأسود معدود في طبقات الناس ، وهو في كلها مقدّم ، ومأثور عنه في جميعها ، معدود في التابعين ، والفقهاء ، والمحدثين ، والشعراء ، والأشراف ، والفرسان ، والأمراء ، والنحاة ، والحاضري الجواب ، والشيعة [3] .

---

[1] ابن الأنباري ، نزهة الألباء ص١٣ .
[2] القفطي ، إنباه الرواة ، ٣٨٢/٢ .
[3] السيوطي ، بغية الوعاة ، ٢٢/٢ .

هذا ، ويعدّ تنقيط المصحف من الأعمال الخطيرة والمهمة لحفظ كتاب الله تعالى من العبث واللحن وإحاطته بسياج يمنع اللحن فيه [١] . من يريد أن يتحرر ويحافظ على ثقافته من العبث فعليه أن يقوّم اعوجاج لغته ، فاللغة مرآة للعقل ، وأداة للفكر ، ولقد بلغت عناية الشيعة باللغة حتّى أنّ البصرة كانت تعجّ بالشيوخ والطلاّب للعربية ، وبلغت أوج نهضتها في ما بين سنة ١٠٠ هـ و١٦٠هـ حينما وضع الخليل بن أحمد علم العروض ، والمعجم في اللغة ، وأصول النحو .

وفي الكوفة كان هناك رائد في هذا العلم هو أبو جعفر الرواسي الذي أسس مدرستها جنباً إلى جنب مع معاذ الهراء . وكان أشهر تلاميذها وأنجبهم الكسائي حيث تلقّى علوم النحو والعربية عن الرواسي ، ومعاذ الهراء .

وذكره السيوطي أبو جعفر ، فقال : هو أستاذ الكسائي ، وهو أوّل من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو وكان رجلا صالحاً ، وقيل : إنّ كل ما في كتاب سيبويه "وقال الكوفي كذا" إنّما عنى به الرواسي هذا ، وكتابه يقال له : "الفيصل" ، وكان له عمّ يقال له : معاذ بن مسلم الهراء ، وهو نحوي مشهور ، وهو أوّل من وضع علم التصريف [٢] ، وكان معاذ الهراء صديقاً للكميت . يقول ابن خلكان : أمّا أبو مسلم معاذ بن مسلم الهراء

[١] شوقي ضيف ، المدارس النحوية ، ص١٧ .

[٢] السيوطي ، المزهر ، ٣٠٥/٤ .

النحوي الكوفي ، قرأ عليه الكسائي ، وروى عنه ، وصنّف في النحو كثيراً ، وكان يتشيّع [1] .

وقد كان الفراء خاتماً لمدرسة الكسائي ، وبه ختم الجيل الأوّل من النحاة ، والفراء هو : أبو زكريا يحيى بن زياد الديلمي ، وكان أعلم أهل الكوفة باللغة ، بل هو بحر فيها ، وسمّي أمير المؤمنين في النحو ، وإلى جانب هذا ، فهو فقيه ، وخبير بالطب ، وحاذق في أيام العرب ، وأشعارهم ، وأخبارهم ، حتّى وصفه ثمامة بن الأشرس ، فقال : (فرأيت أبهة أديب فجلست إليه فناقشته عن اللغة فوجدته بحراً ، وناقشته عن النحو فشاهدته نسيج وحده ، وعن الفقه فوجدته رجلاً فقيهاً عارفاً باختلاف القوم ، وبالنجوم ماهراً ، وبالطب خبيراً ، وبأيام العرب وأشعارها حاذقاً ، فقلت له: من تكون؟ وما أظنّك إلاّ الفراء [2] .

وهكذا أنشأت مدرسة الكوفة على أيدي الشيعة من الرواسي فالكسائي والفراء ، ثمّ استقرّت على يد الفراء الذي قام بجمع اللغة وضبطها .

وكانت هناك مدرستين شهيرتين ، في النحو هما : مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ، وكان أبو علي الفارسي أوّل من خلط بين آراء المدرستين ، فانتخب منهما مدرسة ثالثة أكثر وضوحاً وفق ما يراه ، وبه

---

[1] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٠٥/٤ .

[2] ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٢٢٥/٥ .

يكون إمام مدرسة بغداد ، وقد توفى سنة ٣٧٧هـ ، وكان معاصراً للمتنبي ، ومصاحباً لسيف الدولة الحمداني ، وكان إمام زمانه في النحو . يقول الحموي : "صنّف كتباً حسنة لم يسبق إلى مثلها ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وبرع له غلمان حذاق ، مثل : عثمان بن جني ، وعلي بن عيسى الربعي ، وتقدّم عند عضد الدولة ، فكان يقول : أنا غلام أبي علي النحوي في النحو" [1] .

وقد صحب ابن جني كلاً من الشريفين الرضي والمرتضى ، وكان من مشاهير علماء الشيعة البغداديين ومنهم أيضاً يعقوب بن إسحاق السكيت الذي بلغت مصنّفاته في النحو والمعاني والشعر والتفسير ودواوين العرب ، وزاد فيها على كل من تقدّمه ، وكان الخليفة المتوكّل قد اتّخذه مؤدّباً ، فبينما هو مع المتوكّل يوماً جاء المعتز والمؤيد ، فقال المتوكل : يا يعقوب أيّهما أحبّ إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال له : إنّ قنبر خادم علي أحبّ إليّ منك ومن ابنيك ، فأمر غلمانه الأتراك أن يسلّوا لسانه ، ويدوسوا بطنه ، فمات من ساعتها [2] .

ومجمل القول : إنّ السبق في علم النحو والعروض والصرف والبيان كان للشيعة ، كما يرجع إليهم الفضل في تأسيس مدارس النحو ، وبهذا العمل أثروا الثقافة الإسلامية ، وجعلوا من العربية لغة عظيمة يقبل عليها القاصي

---

[1] ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، ٢٣٤/٧ .

[2] الحموي ، معجم الأدباء ، ٣٤٩/٢ ، السيوطي ، بغية الوعاة ، ٣٤٩/٢ ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ٤٣٨/٥ ـ ٤٤٣ ، ابن أنجب تاريخ الخلفاء ، ص٢٨ .

والداني ، وزاوجوا بين اللغة والدين ، فإنّهم ينظرون إلى العربية على أنّها لغة القرآن الذي أنزل الله بها كتابه ، وهي لغة الرسول ﷺ وأنّ دقائق التشريع لا تعرف إلاّ من خلالها ، ولذلك برعوا في فنون العربية ، وتشددوا في ذلك ، ولهذا نجد أنّ فقهاء الشيعة يذهبون إلى عدم صحة جواز القراءة في الصلاة والأذان بغير العربية ، في حين يذهب كل من أبي حنيفة بجواز ذلك بصورة مطلقة ، والمالكية والشافعية بجواز ذلك إذا كان المؤذّن أعجمياً ، ويريد أن يؤذّن لنفسه أو لأمثاله من الأعاجم [١] .

وفي عقد النكاح ذهبت الحنفية والمالكية وغيرهم بجواز إيقاع العقود بغير العربية مع القدرة عليها ، ويكون العقد صحيحاً ، والشيعة لا يجيزون ذلك [٢]. إنّ روّاد الشيعة الأوائل كانوا هم أصحاب النبي ﷺ ومن أهل الجزيرة والحجاز وتهامة ونجد واليمن وغيرها ، وأنّ هؤلاء كانوا عرب أقحاح، بل كانوا من فصحاء العرب وشعرائهم وأساطين البيان،والذين تأثّروا بإمامهم الأوّل ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام .

أمّا مسألة عروبة الخليفة أو الإمام فذهب كثير من الفقهاء إلى ضرورة عروبة الخليفة أو الإمام ومنهم الشيعة ؛ لقوله ﷺ "الأئمة من قريش" والأحناف وغيرهم على عدم اشتراط عروبة الخليفة ، وكذلك المعتزلة .

---

[١] الفقه على المذاهب الأربعة ٣١٤/١ .

[٢] محمّد أبو زهرة ، الأحوال الشخصية ، ص٢٧ .

واشتراط عروبة الخليفة ليست دعوة عنصرية أو تعصّب عرقي ، ولكن بهذا الشرط احتاط العلماء لضمان حاكم يعي دقائق الشريعة التي ترتبط باللغة التى نزل بها القرآن ، دون انتقاص أو قدح للآخرين .

ثالثاً : الأصول الاعتقادية عند الشيعة

إنّ عقيدة الشيعة هي عقيدة كل مسلم ، ومصادرها أربع هي : الكتاب والسنة والإجماع والعقل . وفي ذلك يقول الشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء : "المسلمون متّفقون على أنّ أدلة الأحكام الشرعية منحصرة في الكتاب والسنة ثمّ العقل والإجماع ، ولا فرق في هذا بين الإمامية وغيرهم" .

أمّا واعتقادهم في التوحيد فيقول فيه ابن بابويه القمي : إنّ الله تعالى واحد ليس كمثله شي ، قديم لم يزل ولا يزال سميعاً بصيراً حكيماً حيّاً قيّوماً عزيزاً قدّوساً قادراً ، لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه .

وأمّا اعتقادهم في القرآن فيقول فيه : أنّه كلام الله ووحيه وتنزيله وكتابه ، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيّه هو ما بين الدفّتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، ومن نسب إلينا أنّا نقول إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب . هذا ما كتبه ابن بابويه الذي عاش في القرن الرابع ، وتوفى سنة ٣٨١هـ [1] .

---

[1] عرفان عبد الحميد ، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص١٨ .

وقد جاء في كلام السيد محسن الأمين العاملي : وعقيدة الشيعة أنّ كل من شك في وجود الباري تعالى أو وحدانيّته ، أو نبوة النبي ﷺ أو جعل له شريكاً في النبوة فهو خارج عن دين الإسلام ، وكل من غالى في أحد من الناس من أهل البيت أو غيرهم وأخرجه عن درجة العبودية لله تعالى ، أو أثبت له نبوة أو مشاركة فيها ، أو شيئاً من صفات الألوهية فهو خارج عن ربقة الإسلام ، والشيعة يبرؤن من جميع الغلاة والمفوّضة وأمثالهم [1] .

وقال الشيخ محمّد رضا المظفر : (ونعتقد أنّ النبوة وظيفة إلهيّة وسفارة ربّانيّة يجعلها الله لمن يختاره من عباده الصالحين ، فيرسلهم إلى سائر الناس لإرشادهم . ونعتقد أنّ الإمامة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلاّ بالاعتقاد بها ، ويجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد و النبوة ،وهي كالنبوة لطف من الله تعالى [2] .

وأهم الأصول الاعتقادية عند الشيعة الإمامية هي : التوحيد والعدل والنبوة والإمامة والمعاد .

والاسلام يعتمد على ثلاثة أركان : التوحيد والنبوة والمعاد ، فلو أنكر الرجل واحداً منها فليس بمسلم ، وإذا دان بتوحيد الله ونبوة سيّد الأنبياء محمّد ﷺ واعتقد بيوم الآخرة فهو مسلم حقاً له ما للمسلمين وعليه ما

---

[1] الأمين ، أعيان الشيعة ، ٩١/١ .

[2] المظفر ، عقائد الإمامية ، ص٤٣ .

عليهم ، ودمه وماله وعرضه حرام . ويطلق أيضاً على معنى أخص يعتمد على تلك الأركان الثلاثة وركن رابع وهو العمل بالدعائم التي بني الإسلام عليها ، وهي خمس : الصلاة ، والصوم والزكاة والحج والجهاد. وبالنظر إلى هذا قالوا : الإيمان اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان [١] .

وكل مورد في القرآن اقتصر على ذكر الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر يراد به الإسلام والإيمان بالمعنى الأوّل . وكل مورد أضيف إليه ذكر العمل الصالح يراد به المعنى الثاني ، والأصل في هذا التقسيم قوله تعالى : ﴿**قَالَت الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمنُوا وَلَكنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُل الايمَانُ في قُلُوبكُمْ**﴾ [٢] ، وزاده تعالى إيضاحاً بقوله بعدها ﴿**انَّمَا الْمُؤْمنُونَ الَّذينَ آمَنُوا بالله وَرَسُوله ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ في سَبيل الله أُولَئكَ هُمُ الصَّادقُونَ**﴾ [٣] وبذلك فإنّ الإيمان قول ويقين وعمل ، فهذه الأركان الأربعة هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند الجمهور ، ولكن الشيعة زادوا ركناً خامساً وهو الاعتقاد بالإمامة ، وأنّها منصب إلهي كالنبوة ، فكما أنّ الله تعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، ويؤيّده بالمعجزة ، فكذلك يختار للإمامة من يشاء ، ويأمر نبيّه بالنص عليه ، وأن ينصبه إماماً للناس من

[١] ابو حنيفة النعمان، دعائم الإسلام، ١٢/١، ١٣.

[٢] الحجرات : ١٤ .

[٣] الحجرات : ١٥ .

بعده للقيام بالوظائف التي كان النبي يقوم بها سوى أنّ الإمام لا يوحى إليه كالنبي ، والإمامة متسلسلة في اثني عشر كل سابق ينصّ على اللاحق ، ويشترطون أن يكون معصوماً كالنبي عن الخطأ وإلاّ لزالت الثقة به [١] .

وعن أبي جعفر محمّد بن علي صلوات الله عليه أنّه قال : الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان ، ثمّ أدار وسط راحته دائرة وقال : هذه دائرة الإيمان . ثمّ أدار حولها دائرة أُخرى وقال : هذه دائرة الإسلام أدارهما على مثل هذه الصورة فمثل الإسلام بالدائرة الخارجة والإيمان بالدائرة الداخلة ؛ لأنّه معرفة القلب كما تقدّم القول فيه ، وبأنّه إيمان يشرك الإسلام ولا يشركه الإسلام ، يكون الرجل مسلماً غير مؤمن ، ولا يكون مؤمناً إلاّ وهو مسلم [٢] .

فهذه مجمل عقيدة الشيعة في التوحيد والنبوة والإسلام والإيمان والولاية .

وإذا كان الإسلام هو الشهادة بالتوحيد والنبوة والمعاد فمن أنكر واحدة منها فليس بمسلم ، فإذاً قضايا مثل : البداء والعصمة والمهدي وغيرها قضايا لا تدخل ضمن معنى الإسلام ، ولكنها قضايا مرتبطة بالمذهب فمن اعتقد بها فهو على مذهبهم ، ومن لم يعتقد بها فهو ليس

---

[١] محمّد حسين آل كاشف الغطاء ، ص١٠١ ـ ١٠٢ بتصرّف .

[٢] أبو حنيفة النعمان ، دعائم الإسلام ، ١٢/١ .

على مذهبهم ، فويل للذين يكفّرون إخوانهم ، ويوغرون الصدور عليهم ، وينفخون في كل نار حتّى تلتهب .

فهذه هي مصادر التشريع عند الشيعة كما هي عند غيرهم من فرق ومذاهب أهل الإسلام وهذه هي عقائدهم ، فما هو معنى وصف الشيعة بالخارجين عن الدين أو بالفارسية؟!

وتجد البعض يقول : بأنّ المضمون الفكري عندهم فارسي! وعجيب هذا ، فكيف يستساغ فارسية الفروع مع إسلامية الأصول؟! وممّا قدمنا يتّضح الهوية العريقة للتشيع التي هي عربية المهد واللغة ، ولأجل هذا ذهب الباحثون الموضوعيون أنّ التشيع عربي بكل خواصه ، وأنّ هذه الأقوال التي ترمى الشيعة بالفارسية نشأت متأخرة لأسباب ، منها : تحوّل الفرس من المذهب السني إلى المذهب الشيعي منذ القرن العاشر ، ومنها سياسية : ترتبط بالنزاع الذي دار بين الصفويين والعثمانيين ، فلقد حورب المذهب الجعفري الاثني عشري في عهد العثمانيين والأتراك مئات السنين محاربة عنيفة لئيمة متواصلة ، وتفنن المفرّقون بالافتراءات عليهم في ذلك العهد الظالم اللئيم ، فلم يتركوا وسيلة من وسائل الإيذاء إلاّ اقترفوها [1] ، كما أنّ السلطان سليم الأوّل استصدر من الهيئة الإسلامية فتوى تجيز إعدام الذين اعتنقوا المذهب الشيعي من رعايا الدولة ، واعتبارهم مرتدّين عن الإسلام ، وقررت الهيئة أيضاً شرعية

---

[1] محمّد جواد مغنية ، الإمام جعفر الصادق ، ص١١٣ .

الحرب التي يخوضها الجيش العثماني ضد الشاه إسماعيل الصفوي في بلاد فارس عام ١٥١٤م تأسيساً على أنّ الدولة الصفوية تتخذ المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لها ، وتحاول نشره خارج حدود الدولة الصفوية [1] .

وهناك مجموعة كبيرة من الباحثين لم يسعهم من ناحية إنكار عروبة التشيّع في الوقت الذي أرادوا فيه شتم الشيعة عن طريق شتم الفرس منهم :

١ ـ علي حسين الخربوطلي قال : وهناك فريق من العرب تشيّع لعلي بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر ، ويرى جولد تسهير أنّ الحركة الشيعية نشأت في أرض عربية بحتة ، فقد مال لاعتناق التشيّع قبائل عربية تشبّعت بالآراء الثيوقراطية ، وبشرعية حق علي بالخلافة ، فأقبلت على تعاليمه في لهفة وحماسة أهل العراق من الفرس ، ورأوا أنّ الإمامة ليست من المصالح التي تفوّض إلى نظر الأمّة ، ويُعيّن القائم بها تعييناً باختيار جماعة المسلمين وانتخابهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام ، فيجب تعيين الإمام ، ويكون معصوماً ، وأنّ علياً هو الذي عيّنه الرسول [2] .

---

[1] فتحية النبراوي ومحمّد نصر مهنا ، تطوّر الفكر السياسي في الإسلام ، ٤٠٢/٢ .

[2] حسن الخربوطلي ، الدولة العربية ، ص١٢٧ .

٢ ـ المستشرق فلهوزن قال : أما أنّ آراء الشيعة تلائم الإيرانيين فهذا ممّا لاشك فيه ، وأمّا كون هذه الآراء انبعثت من الإيرانيين فليست تلك الملائمة دليلا عليه، بل الروايات التاريخية تقول عكس ذلك إذ تقول إنّ التشيّع الواضح الصريح كان قائماً أوّلا في الدوائر العربية ثمّ انتقل إلى الموالي [١].

٣ ـ المستشرق آدم متز قال : إنّ مذهب الشيعة لا كما يعتقد البعض ردّ فعل من جانب الروح الإيرانية تخالف الإسلام ، فقد كانت جزيرة العرب شيعية كلها عدى المدن الكبرى ، كمكة وتهامة وصنعاء ، وكان للشيعة غلبة في بعض المدن ، مثل : عمان وهجر وصعدة وفي بلاد خوزستان التي تلي العراق فكان نصف أهلها على مذهب الشيعة ، أمّا إيران فكانت سنية عدا قم ، وكان أهل أصفهان يغالون في معاوية حتّى اعتقد بعضهم أنّه نبي مرسل [٢] .

٤ ـ جولد تسهير قال : إنّ من الخطأ القول إنّ التشيّع في منشئة ومراحل نموّه يمثّل الأثر التعديلي الذي أحدثته أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام بعد أن اعتنقته وخضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية ، وهذا الوهم الشائع مبني على سوء فهم الحوادث التاريخية ، فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحتة [٣] .

---

[١] فلهوزن ، الشيعة والخوارج ، ص٢٤١ .

[٢] آدم متز ، الحضارة الإسلامية ، ١٠١/١ .

[٣] آدم متز ، العقيدة والشريعة ، ص٢٠٢ .

٥ ـ نولدكه قال : ظلّت بلاد فارس في أجزاء كبيرة منها تدين بالمذهب السني ، واستمر ذلك حتّى سنة ١٥٠٠م عندما أعلن التشيّع مذهباً رسمياً فيها بقيام الدولة الصفوية [١] .

٦ ـ المستشرق كيب قال : إنّ الفكرة الخاطئة والتي لازالت منتشرة التي تقول بأنّ بلاد فارس كانت الموطن الأصلي للتشيّع لا أصل لها ، بل الروايات التاريخية تثبت بأنّ الزرادشتيين كانوا أميل عموماً لاعتناق المذهب السني [٢] .

هذا ولدينا شواهد على أنّ التشيع لم ينتشر في بلاد فارس إلاّ بعد زوال دولة بني عباس .

هذا ، ولم نعرف عرقاً فارسياً نهض في نصرة آل البيت العلوي زمن العباسيين ، بل على العكس سمعنا أنّ يحيى البرمكي تعهّد للرشيد بقتل الإمام الكاظم عليه السلام ، ووفى بعهده له ، وسمعنا أنّ الحسن بن سهل يوشي بالإمام الرضا عليه السلام في عهد المأمون ، ويسعى به عند المأمون ؛ وذلك أنّ الذين أحبّوا القومية الفارسية ، وسلّموا زمام الأمر في الدولة لرجال فارس العباسيون حتّى كانت دولتهم شبه فارسية ، ثمّ صارت أيام المعتصم شبه تركية .

ولقد بلغ العباسيون غايتهم في التنكيل بأئمة البيت العلوي ، ونقضوا

---

[١] عرفان عبد الحميد ، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ، ص٣٢٦ .

[٢] المرجع السابق ص٢٦ .

العهود ، ونكثوا الأيمان ، وأغدقوا العطاء لمن انتقد زعماء وأئمة البيت العلوي في مجالسهم ، ولقد أرسل موسى بن عيسى العباسي رجلاً إلى عسكر الحسين صاحب فخ حتّى يراه ويخبره عنه ، فمضى الرجل وتعرّف على عسكر الحسين ، فرجع ، قال لموسى بن عيسى : ما أظن القوم إلاّ منصورين .

فقال : وكيف ذلك يا بن الفاعلة؟

قال الرجل : لأنّني ما رأيت فيهم إلاّ مصلياً أو مبتهلاً أو ناظراً متفكّراً ، أو معدّاً للسلاح .

فضرب موسى يداً على يد وبكى ، ثمّ قال : هم والله أكرم خلق الله ، وأحق بما في أيدينا منّا ، ولكن الملك عقيم ، لو أنّ صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف [1] .

ولقد كانت خراسان من البلاد التي تتشيّع للعباسيين وليس للعلويين ، هذا ما جاء في كلام الصادقعليه السلام عن أهل خرسان يوم أن جاءه عبد الله المحض وقال له : هذا كتاب أبي سلمة يدعوني فيه إلى الخلافة قد وصل على يد بعض شيعتنا من أهل خراسان . فقال الصادق : ومتى صار أهل خراسان من شيعتك وهم يدعون إلى غيرك [2] .

---

[1] تاريخ أبي الفداء ، ٢/١١ .

[2] ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية ، ص١٣٧ .

ولقد قال محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس في كلمته التي ألقاها لرجال الدعوة حينما أراد بثّهم في البلدان : وأمّا الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب وولده وأمّا البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف ، وأمّا الجزيرة فحرورية مارقة ، وأمّا أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فإنّ هناك العدد الكثير، والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة ، وقلوب لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة [١] .

بل إنّ قم مركز الإشعاع الشيعي في المنطقة والعالم الآن لم تمصر إلاّ في سنة ٨٣هـ ، ولم يدخلها التشيّع إلاّ في تلك السنة على يد سعد بن مالك بن عامر الأشعري كما حكى الحموي [٢] .

وقد روى البيهقي أنّ المأمون العباسي همّ بأن يكتب كتاباً في الطعن على معاوية ، فقال له يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ، العامّة لا تتحمّل هذا ولاسيّما أهل خراسان ، ولاتأمن أن يكون نفرة [٣] . وبذلك ندرك أنّ خراسان كانت تتولّى معاوية حتّى أيام المأمون ، وأنّ سجستان وأصفهان وشاش وطوس كانت كلها ناصبة العداء لآل البيت العلوي أيام الخوارزمي وابن سبكتكين المتوفى سنة ٤٢١ هجرية .

---

[١] ابن قتيبة ، عيون الأخبار : ٢٠٤/١ .

[٢] الحموي ، معجم البلدان ، ١٦٠/٧ .

[٣] البيهقي ، المحاسن والمساوىء ، ١٠٨/١ .

وبلغ الجور والتعسّف الذي لحق بآل البيت العلوي حتّى قال أحد الشعراء :

يا ليت جور بني مروان دام لنا   وليت عدل بني العباس في النار

وقال آخر :

تالله إن كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتته بنو أبيه بمثله   هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا   شاركوا في قتله فتتبعوه رميما

هل التشيّع فارسي ؟

ويبقى بعد ذلك فرض وهو أنّ هناك مفاهيم حضارية انتقلت بمعناها الحضاري عن طريق من اعتنق التشيّع من الفرس ولم يستوعب التشيّع فركّبه على ما عنده وتناقلته الأجيال ، وبقيت تتداول وتنمو حتّى أخفت الوجه الحقيقي للتشيّع ، وهذا ما ساقه البعض وحاول إثباته لكنّه فشل لعدم جدّية هذا الفرض .

ونقول لمّا كانت الجزيرة العربية فقيرة إلى الأفكار الدينية والمضامين الثقافية لعب اليهود وأهل الكتاب دوراً هاماً في ملىء هذا الفراغ المفترض وخصوصاً في الفكر السنى الذي حاول أن يتخلّص من الداء وينسبه للشيعة عن طريق ادّعاءاتهم وكتبهم ورجالهم والسلطة الحاكمة التي كانت تحمل العداء الشديد لآل البيت العلوي .

ويقول ابن خلدون في مقدّمته عن كتب التفسير : إنّها تشتمل على الغث والثمين والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأميّة ، وإذا تشوّقوا إلى معرفة شيء ممّا تتشوّق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود ، فإنّما يسألون أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدون منهم ، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى ، مثل : كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم ، فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم ، وتساهل المفسّرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، وأصلها كلها كما قلنا من التوراة أو ما كانوا يفترون [١] .

ويقول أحمد أمين : "اتصل الصحابة بوهب بن منبه وكعب الأحبار وعبد الله بن سلام ، واتصل التابعون بابن جريج ، وهؤلاء كانت لهم معلومات يروونها عن التوراة والإنجيل وشروحها وحواشيها" [٢] .

ومن أجل ذلك كله أخذ أولئك الأحبار يبثّون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات ، وازداد الطين بلّة بعد أن سُنّ القص في المساجد ، فكان القاص يأتي بما هو نادر وشاذ ، وبذلك تولّد الشره إلى كل حكاية يجذب بها المستمتع ، وكان البعض يزعم أنّها في كتب الأمم السابقة أو

---

[١] ابن خلدون ، المقدّمة ، ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

[٢] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ص١٣٩ .

من مكنون علمهم ، وأخذوا يدّعون بأنّهم سمعوها ورووها عن النبيصلى الله عليه وآله ، وهي في الحقيقة أحاديث مفتراة ، وبذلك امتلأت كتب التفاسير والحديث والتاريخ بتلك الحكايات ، وبوسع أيّ إنسان أن يقف على ما نقول .

ففي التاريخ مثلاً حكايات عن النسناس الذي هو حيوان على هيئة الإنسان إلاّ أنّ له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وكذلك جميع ما فيه من الأعضاء . وقال العلماء : إنّه يحلّ أكله . وقال عنهم الطبري : إنّهم بنو أميم ابن لاوذ بن سام بن نوح أصابتهم من الله عزّ وجل نقمة من معصية أصابوها فهلكوا وبقيت منهم بقية ، وهم الذين يقال لهم : النسناس [١] . وانظر الطبري ومعجم البلدان ومروج الذهب ، واقرأ أخبار النسناس الذي يحكى أنّ الناس والحكّام والخلفاء قاموا بصيده وشيّه وأكله . وهناك كثير وكثير من هذا القبيل نسأل الله العافية .

وهذه الأفكار أو الحكايات التي أصبحت في كتب الإسلام نتيجة الذين أسلموا من أهل الكتاب ولم يتخلّصوا من تراثهم العقلي والفكري ، ومع هذا لا يعدّ ذلك طعناً في إيمانهم مادامت الأصول التي يتحقق معها الإسلام محفوظة ، وهذه الأصول التي تحقق إسلام المرء هي كما قال الرسول صلى الله عليه وآله عنها فيما يرويه أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : "من صلّى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ،

---

[١] محمّد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ٢١٤/١ .

فذلك المسلم الذي له ذمّة الله ورسوله ، فلا تخفروا الله في ذمّته" [١] .

إنّ هذه الدعوة المقلوبة ـ وهي فارسية التشيّع أو يهوديّته ـ دعوى ساقطة ، وأنّنا نحتاج إلى جهد جهيد لمراجعة أنفسنا وأسفارنا التي تحت أيدينا ، وتدبّر معي قول الإمام الصادق عليه السلام : "ليس من العصبية أن تحبّ قومك، ولكن من العصبية أن تجعل شرار قومك خيراً من خيار غيرهم" [٢]. وقارن هذا بقول ابن تيمية وهو يقول : "وأخص من هؤلاء من يردّ البدع الظاهرة كبدعة الرافضة ببدعة أخف منها ، وهي بدعة أهل السنة" [٣]. وليس الأمر كما يحاول البعض أن يلبسه ويزيّفه من أنّ أغلب الشيعة فرس ، وقد طغت أفكار الفرس على الشيعة حتّى صاغتها ، وهذه فرية كبيرة ، فإنّ عقيدة الشيعة ثابتة وهي : التوحيد والنبوة والمعاد ، فمن أنكر واحدة منها فليس بمسلم .

ويقولون : إنّ الإيمان اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان . وللإمامية ركن آخر وهو الاعتقاد بالإمامة فمن لم يعتقد بها فليس بمخرجه عن الملّة أو من دائرة الإسلام بل ليس بشيعي .

كما أنّ الفرس ليسوا هم الشيعة وحدهم ، فالتشيّع منتشر عند العرب وغيرهم في المملكة العربية السعودية واليمن والبحرين والعراق وسوريا

---

[١] البخاري ، وصحيح البخاري ، ٥٠/٨ .

[٢] محمّد أبو زهرة ، الإمام الصادق ، ص١٥١ .

[٣] ابن تيمية ، الفرقان بين الحق والباطل ، ٧٣/١ .

ولبنان ومصر وتونس والمغرب وأندونيسيا وبلاد الأفغان وتركيا وأفريقيا وفي أوربا وأمريكا وغيرها .

إنّ بذرة التشيّع نشأت في بلاد العرب وليس في أيّ مكان آخر ، وكان الذين ناصروا علياً وشايعوه هم بذرة التشيّع الأولى ، ففي رياض الصالحين للنووي عن أبي هبيرة عائذ بن عمرو المزني ، وهو من أهل بيعة الرضوان رضي الله عنه : أنّ أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟! فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال : يا أبا بكر لعلّك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فأتاهم فقال : يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي [١] .

وهؤلاء وأمثالهم هم الطبقة الأولى للتشيّع ، وهم بطون العرب في الأعم الأغلب ليس فيهم غير سلمان الذي قال فيه ﷺ : "سلمان منّا أهل البيت" ، وهذا هو حال هذه الطبقة وقدرهم ، ولولا العمى والهوى ما قال بذلك قائل .

أقوال أخرى في فارسية التشيّع :

إنّ نسبة التشيّع للفرس نشأت في أوقات متأخرة ولظروف سياسية ، وهي أنّ الأمويين في سبيل بناء ملكهم قهروا كل من وقف في طريقهم ،

---

[١] النووي ، رياض الصادقين ، رقم ٢٦٣ ص١٠٧ ، رواه مسلم .

فأصبحت العناصر الساخطة على الأمويين ممثلة في بني هاشم من العلويين والعباسيين وجمهور الصحابة والمسلمين الذين ظلّوا يعتبرون الأمويين غاصبين للسلطة ، وكان ممن لحق بهم الموالي الذين اضطهدوا ، وعلى هذا قام كل هؤلاء بأحقيّة آل البيت بالإمامة والخلافة ، وآمل كل العناصر من الموالي وغيرهم أن يعاملهم آل البيت كغيرهم من العرب باعتبارهم جزء من الأمّة الإسلامية .

وهذا الذي دفع الموالي من الفرس إلى الدخول في نصرة آل البيت والانضمام إليهم ، وليس كما يزعم الكثير من أنّ الشيعة صناعة فارسية لهدم الإسلام ، كما أوضحنا من قبل سخف هذا الزعم .

وانّ هناك ثلاث نقاط أُخرى أثارها بعض الباحثين في سبب دخول الفرس التشيّع ، نوردها ونناقشها في إطار البحث العلمي ، وهي كالآتي إجمالاً :

١ ـ تزوّج الحسين بن علي من ابنة يزدجرد.

٢ ـ الثيوقراطية وتقديس الحاكم وعصمتهم وأنّهم يحكمون بالحق الإلهي .

٣ ـ هدم الإسلام من خلال التستّر بالتشيّع .

الأمر الأوّل : تزوّج الحسين بن علي من ابنة يزدجرد .

وهي إحدى العوامل التي أدّت إلى انتشار التشيّع لأهل البيت بدعوى

أنّ هذه الزيجة سوف تجعل للفرس الحق في المطالبة بالملك ، وبذلك يعود لهم ملكهم مرّة أُخرى .

ونقول : إنّ من القواعد المسلّم بها أنّ الحكم بشي يشمل النظائر المتماثلة ، وبعبارة أُخرى : أنّ حكم الأمثال فيما يجوز أو لا يجوز واحد ، وبناءً عليه نقول : إنّ سبي فارس الذي جاء إلى المدينة في زمن خلافة عمر بن الخطاب كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر الخلفية ببيع بنات يزدجرد فقال الإمام علي عليه السلام : إنّ بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهنّ ، فقال الخليفة : كيف الطريق إلى العمل معهنّ فقال : يقوّمن ومهما بلغ ثمنهنّ قام به من يختارهن فقوّمن فأخذهن عليّ فدفع واحدة إلى محمّد بن أبي بكر، وأخرى لولده الحسين، والثالثة إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب .

وهنا نطرح سؤالا إذا كانت العلّة في دخول الفرس إلى التشيّع هي تلك المصاهرة للحسين بن علي ، فلماذا لاتطرّد هذه العلة وهي المصاهرة ، فينادوا بالملك أو الإمامة لمحمّد بن أبي بكر أو لعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ كلاً من يزيد بن الوليد بن عبد الملك وكذلك مروان بن محمّد آخر خلفاء بن أميّة أُمهما من الفرس ، فالأوّل أمّه بنت فيروز بن يزدجرد ، والثاني أمّه أم ولد من كرد إيران . فلماذا لم تتشابه النظائر ، ويناصر الفرس دولة بني أمية؟! ولماذا لم ينادوا

بالخلافة أو بالإمامة في ولد أبي بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله

الأمر الثاني : الثيوقراطية :

التقارب في الآراء من الشيعة والفرس ، وأنّ كلا مهما يقول بالحق الإلهي في الحكم ، وأنّ الحاكم نائب عن الله ، وأنّ الإمامة تكون بالوارثة ، وهذا ما ذهب إليه أحمد أمين وبعض المستشرقين يقول محمّد أبو زهرة : بعض العلماء ومنهم دوزي المستشرق وقرروا أنّ أصل المذهب الشيعي نزعة فارسية إذ أنّ العرب تدين بالحرية والفرس تدين بالملك والوراثة ولا يعرفون معنى الانتخاب ، إلى أن قال إنّ الشيعة قد تأثّروا بالأفكار الفارسية حول الملك ووراثته [١] .

ونقول : إنّ إدعاء من يقول إنّ كلا من الفرس والشيعة يقولون بالحق الإلهي في الحكم ، وأنّه يحكم بتفويض من الله أو نيابة عنه فهذا خطأ ؛ لأنّ الشيعة تؤمن بأنّ الإمامة منصب إلهي كالنبوة ، فالإمام منصوص عليه من قبل الله تعالى من طريق النبي أو الإمام . فأيّ وراثة في هذا؟! فهذا خطأ علمي فادح ؛ لأنّ الشيعة لا تنظر للإمامة على أنّها إرث ، بل تذهب إلى أنّ تعيين الإمام بنص وكتب الشيعة طافحة بذلك .

وإنّ أهل السنة قالوا بأنّ الخلافة تكون بالشورى بالنص واستدلّوا بقوله تعالى (وشاورهم في الأمر) [٢] ، وقوله تعالى (وأمرهم شورى

---

[١] تاريخ المذاهب الإسلامية ١ : ٤٠ .

[٢] آل عمران : ١٥٩ .

بينهم)[١] .

ولكن الآيتين أجنبيتان عن موضوع الشورى ، فالآية الأولى جاءت مدحاً للأنصار الذين كانوا قبل الإسلام إذا أرادوا عمل شيء تشاوروا في ذلك . وقيل : نزلت في مشاورة أهل الرأي[٢] . وقال علماؤنا : المراد بها الاستشارة في الحرب ، ولاشك في ذلك ؛ لأن الأحكام لم يكن لهم فيها رأي بقول ، وإنّما هي بوحي مطلق من الله عزّ وجل أو باجتهاد من النبي صلى الله عليه وآله في مورد يجوز له الاجتهاد[٣] .

والآية الثانية جاءت ليشاور في الحرب ، ولتطيب نفوس أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله[٤] . وبهذا فالآيتان لم تنزلا من باب التشريع لاختيار الخليفة .

أمّا الشيعة فإنّهم ذهبوا : أوّلا : إلى أنّ النبي كان إذا عزم على الخروج في بعض أسفاره أو مغازيه أمّر على المدينة أمير حتّى يخلفه في الناس .

ثانياً : إنّ الشريعة تفرض على المسلم أن يوصي عند موته فيما يهمّه ، قال تعالى : ﴿**كُتبَ عَلَيْكُمْ إذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ**﴾[٥] فكيف يترك

---

[١] الشورى : ٣٨

[٢] الحافظ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ٤٢٠/٣ .

[٣] ابن العربي المالكي ، أحكام القرآن الكريم ، ٢٩٧/٢ .

[٤] الحافظ ابن كثير ، مرجع سابق ، ١١٨/٣ .

[٥] البقرة : ١٨٠ .

رسـول الله ﷺ الأمّـة ، دون وصـي يرعـى الأمّـة ، وبدونـه تـؤول الأمور إلى فوضى وتنازع؟!

ثالثاً : تظافرت الأدلة مـن الكتـاب والـسنة علـى أنّ الإمامـة بجعـل مـن الله ؛ وذلك لقوله تعالى : ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[١] .

ويضاف إلـى ذلـك أحاديـث وردت عـن النبـي ﷺ ، منهـا حـديث الغدير : وأنّ الرسـول ﷺ حينمـا بلـغ غـدير خـم جمـع النـاس وقـال : "ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا : بلى . قال : اللهم فاشهد ، ثـمّ أخـذ بيد علي بن أبي طالب ورفعها حتّى بَانَ بياض إبطيهما للنـاس وقـال : مـن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللّهم وال من والاه ، وعـاد مـن عـاداه ، وانـصر من نصره ، وأخذل من خذله ، والعن من نصب له العداء والبغضاء" .

وفي ذلك أحاديث كثيرة وبطرق عدّة ، فقد روى هـذا الموضـوع مائـة وعشرين صحابياً ، وأربعة وثمانين تابعياً ، وكان عـدد طبقـات رواتـه مـن أئمة الحديث يتجاوز ثلاثمائة وستين راوياً ، وقد ألّف في هذا الموضوع أكثر من عشرين مؤلّفا من الشيعة والسنة مما أشبعوا هذا الأمر بحثاً[٢] .

---

[١] السجدة : ٢٤ .

[٢] الجزء الأوّل من كتاب الغدير للأميني ، الإصابة لابن حجر في ترجمة الإمام علي ، الاستيعاب لابن عبد البر في ترجمة الإمام علي ، أعيان الشيعة ج٣ باب الغدير محسن الأمين العاملي ، تفسير الرازي ، الدرّ المنثور في تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة .

وقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم قال : "قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى "خماً" بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثمّ قال : أمّا بعد ألا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربى فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور... ثمّ قال : وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي..." [١] .

يقول ابن حجر الهيتمي : إنّ حديث الغدير صحيح لا مرية فيه ، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وفي رواية أحمد أنّه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً ، وشهدوا به لعلي لمّا نوزع أيام خلافته ، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان ، ولا يلتفت لمن قدح في صحته ، ولا لمن ردّه [٢] .

ويقول سبط ابن الجوزي : "اتّفق علماء السير على أنّ قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجّة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجّة ، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه (الحديث) . نص ﷺ على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة . وذكر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بإسناده: أنّ النبى ﷺ لمّا قال ذلك طار في الأقطار وشاع في البلاد والأمصار [٣] .

---

[١] مسلم ، صحيح مسلم ، ١٢٢/٧ ، ١٢٣ .

[٢] ابن حجر الهيتمي ، الصواعق المحرقة ، ص٤٢ .

[٣] سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص٣٠ ، ٣١ .

وبعد هذا الثابت والمدوّن الصحيح تجد من يخرج عليك ليقول : إنّ هذا لم يرد إلاّ عند الشيعة ، وقد تسمع من يقول وتقرأ : أنّ الشيعة دسّوا هذه الروايات في كتب السنة ، وهي حكايات أشبه بخرافات العجائز .

وبذلك فقد أوضحنا نصوص الشيعة التي يستندون عليها في عقائدهم في أنّ الإمام بجعل من الله ، وأنّ إمامته بالنص دون الاختيار ، وأنّ الذين ذهبوا إلى القول بالشورى اعتمدوا على اجتهاد من عند أنفسهم عندما ظنّوا أنّه ليس هناك نص أو أنكروا النص ؛ لأنّ أحاديث الغدير والولاية لا تدين من حارب علياً فحسب ، وإنّما تدين كذلك أولئك الذين اعتزلوه ، وبذلك تلقي الضوء على حروب علي التي اشتبه المسلمون والتبس فيها وجه الحق [1] .

والشيعة يتساءلون عن الشورى وأركانها؟ وكيفيتها؟ وهل تحققت في أيام الخلفاء؟ وهل اختيار الخلفاء كان بموجب هذه النظرية؟

إنّ الذين بايعوا أبي بكر في السقيفة اثنان من المهاجرين هما أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح ، وعمر بن الخطاب ، ولذلك قالوا أهل السنة أنّ البيعة تنعقد برجلين من أهل الشورى (أهل الحل والعقد) ، ويقول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب : إنّها كانت فلتة وقى الله شرّها . وهذه العبارة تدل بجلاء على أنّ هذه البيعة لم تتم وفق معايير منهجية .

---

[1] حسن عباس ، الصياغة المنطقية للفكر السياسي ، ص٣٥.

ولكن هل تحققت البيعة والشورى في الخليفة الثاني أم كانت عن طريق التعيين ، كما وصّى بها أبو بكر؟ وهل الخليفة الثالث جاء عن طريق بيعة أم عن طريق تأييد ثلاثة من خمسة [١]؟

إنّ الموضوعية في البحث تقول إنّ هذه الحالات الثلاث لا يمكن أن تعبّر عن نظرية الشورى فعلا ، وهل طبيعة هذه الحالات تتسق مع أدلتهم كقول الله تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [٢] ومع كل هذا تجد من يقول إنّ البيعة تتحقق ببيعة واحد فقط ، كما ذهب ابن العربي المالكي [٣] !!

ومن كل هذا وغيره نقول بأنّ نظرية الشورى لمّا كانت غير ناهضة ولا تقف على أرضية محكمة بعكس نظرية النص والتعيين ، تجد من يقول بأنّ هذه النظرية هي نظرية الفرس الذين أدخلوها في التشيّع لتكون وراثة ، إلاّ أنّ الإمامة ليست وراثة ولكنها تعيين ، وليست موضوعة ولكن سندها من الكتاب والسنة ، وليست متأخرة في الفكر الإسلامي ولكنها تمثّل أحد أهم الركائز الاعتقادية عند الشيعة قبل دخول الفرس الإسلام وقبل تشيّعهم وعندما كانوا موالين للأمويين .

ورغم ذلك كله تجد أمثال الدكتور أحمد شلبي في تاريخ المناهج الإسلامية [٤] يقول : وكان عدم تدوين الأحاديث فرصة أمام مدعي

---

[١] ابن العربي المالكي ، أحكام القرآن ، ٥٧/٣ .

[٢] الشورى : ٣٨ .

[٣] ابن العربي المالكي، أحكام القرآن، ٥٧/٣ .

[٤] أحمد شلبي ، تاريخ المناهج الإسلامية ٢١٣/٤ .

التشيّع ليضعوا حشداً من الأحاديث وينسبوها للرسول صلى الله عليه وآله ، ولعل حديث غدير خم كان في مطلعها .

ويقول أحمد أمين : ونظم ، أي : السيد الحميري حادثة غدير خم ، وهي ما تزعمه الشيعة من أنّ النبى صلى الله عليه وآله يوم غدير خم أخذ بيد علي وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه [١] .

ومن قبلهم قال ابن خلدون : والأمر الثاني : هو شأن العهد مع النبي صلى الله عليه وآله وماتدّعيه الشيعة من وصية علي رضي الله عنه ، وهو أمر لم يصح ، ولا نقله أحد من أئمة أهل النقل [٢] .

إنّ نفي هذه الأحاديث مكابرة وإخفاء للحقيقة فحديث الغدير والولاية رواه من أهل السنة ابن حجر العسقلانى في الإصابة [٣] والمقريزي في خططه [٤] ، والمحب الطبري في الرياض النضرة [٥] ، والسيوطي في تاريخ الخلفاء [٦] ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد [٧] ، وابن قتيبة في الإمامة والسياسة [٨] ، والمسعودي في مروج

---

[١] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ص٣٠٩ .

[٢] ابن خلدون ، المقدّمة ، فصل ولاية العهد ، ص٢١٢ .

[٣] ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، ١٥/٢ ، ٥٦٨/٤ .

[٤] المقريزي ، الخطط ، ٩٢/٢ .

[٥] المحب الطبري ، الرياض النضرة ، ١٧٢/٢ .

[٦] السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص١٦٩ .

[٧] الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٤٣٧/٧ .

[٨] ابن قتيبة ، الإمامة والسياسة ، ١٠٩/١ .

الذهب [١] والغزالي في سرّ العالمين وكشف ما في الدارين [٢]، والمتقي الهندي في كنز العمال [٣]، والنسائي في الخصائص [٤] ومسلم في صحيحه [٥].

ونختم هذا الأمر بقول الإمام جعفر الصادق ﷺ الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ الله، والتصديق برسول الله ﷺ، وبه حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس" [٦]. فصفة الإسلام ثابتة لمن شهد الشهادتين سواء اعتقد أنّ الإمامة بالنص، فهي حق إلهي أو بالشورى، فهي حق للجماعة يضعوها حيث تتوفّر فيه من يتحّملها، وحتّى لو لم يكن للإمامية في نظريتهم لنصب الإمام دليل، بل لو ذهب القوم إلى أبعد من ذلك فابتدعوا وكانوا من أهل البدع فإنّه يتعيّن على علماء المسلمين ألاّ ينبذونهم ويكفّروهم.

فكيف وعندهم الدليل الصحيح الثابت في كتب أهل السنة أنفسهم؟!

الأمر الثالث: هدم الإسلام من خلال التستّر بالتشيّع، وقولهم إنّ الفرس استتروا بالتشيّع لهدم الإسلام، وفي ذلك يقول أحمد أمين: والحق أنّ التشيّع كان مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة

---

[١] المسعودي، مروج الذهب ٤٣٧/٢.

[٢] أبو حامد الغزالي، سرّ العالمين وكشف ما في الدارين، ص١٠.

[٣] المتقي الهندي، كنز العمال، ١٦٧/١، ١٦٨.

[٤] النسائي، الخصائص، ص٣٩، ٤٠، ٤١.

[٥] صحيح مسلم، ١٢٢/٧، ١٢٣.

[٦] شرف الدين، الفصول المهمة، ص١٨.

أو حقد ، ومن كان يريد إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية ، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ، كل هؤلاء كانوا يتّخذون آل البيت ستاراً .

وقد ذهب مذهبه كلاً من الدكتور أحمد شلبي ومحب الدين الخطيب وغيرهم ، وهذا الادّعاء يسوقنا أن نطرح سؤال مفاده :

هل الفرس برؤيتهم الإلحادية أرادوا هدم الإسلام ولذلك تشيّعوا؟ أم أنّهم انضمّوا إلى الإسلام فمنهم سنة ومنهم شيعة؟

فإذا كانوا الفرس دخلوا الإسلام متظاهرين بتشيّعهم ومحبّتهم لأهل البيت محاولين بذلك هدم الإسلام فلا بدّ أنّهم قصدوا الدخول من الباب القوي أو الركن الشديد حتّى يستطيعوا قيادة هذه الأمّة وتحريف دينهم ، وبذلك يكون المذهب الشيعي هو أصل الإسلام ومادّته .

وأمّا إن قلنا إنّهم دخلوا الإسلام ، فمنهم من تشيّع وهم قلّة ، ومنهم من اعتنق المذهب السني كانوا مناصرين للأمويين ، وهؤلاء كانوا الأعم الأغلب ، ورغم أنّ أهل العلم من السنة كانوا في الأغلب من الفرس والموالي ، ولا نرى في ذلك عيباً أو انتقاصاً ، فإنّ الإسلام حرّم العصبية ، وجعل الناس متساويين كأسنان المشط لا فرق لعربي على أعجمي إلاّ بالتقوى .

وقد يقول آخر : إنّ عقائد الشيعة في البداء ، والرجعة ، والعصمة ،

والمهدي خارجة عن أهل الإسلام ومعتقداتهم ومقالاتهم ، وهي تخالف أصل الدين .

نقول : إنّ كلاًّ من البداء ، والرجعة والعصمة والمهدي يقولها كل أهل الإسلام ألا ترى أنّ في مقولة أهل السنة أنّ الصحابة كلّهم عدول يجعل منهم أهل عصمة ، وكذلك القول بالبداء فإنّ له وجه عند أهل السنة يؤيّده أدلّتهم في حديث المعراج من فرض الصلاة ، وأحاديث كثيرة تؤيد البداء لله ، وكذلك .

الرجعة والمهدي ، ورغم هذا فإنّ هذه الأمور ليست من القضايا التي تخرج منكرها من الملّة ، أو أنّ معتنقها من أهل الجنة ، فلماذا كل هذا الصراخ والعويل المفتعل ، ومن المستفيد من تبديد هذه الطاقات في خصومه لا فائدة فيها غير ضعف الأمّة وانقسامها وقطع ذات البين ، وإلى الله المشتكى .

إنّ الشيعة حتّى القرن الثاني من الهجرة لم يكونوا في فارس غير أفراد قلائل في (قم) ليس لهم دعوة ، وإنّما كانوا متستّرين خشية البطش ، ولقد كانت خراسان ، وسجستان ، وأصفهان ، وشاش ، وطوس سنية ، فقد أخرج ابن قتيبة في رواية عن محمّد بن علي بن عبد الله بن عباس في كلمته التي قالها لرجال دعوته حين وجّههم : أمّا الكوفة سوادها ، فهناك شيعة علي بن أبي طالب ، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانية

تدين بالكف ، وأمّا الجزيرة فحرورية مارقة ، وأمّا أهل الشام فليس يعرفون إلاّ آل أبي سفيان وطاعة بني مروان ، وأمّا أهل مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير ، والجلد الظاهر ، وصدوراً سليمة ، وقلوباً فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم تشغلها ديانة [1] .

ولقد ظلّ القليل من الشيعة في فارس وما ورائها مضطهدين طوال فترة حكم الأمويين وكذلك العباسيين .يقول أبو بكر الخوارزمي في رسالته إلى جماعة الشيعة في نيسابور بعد أن عدد أعمال الأمويين قال : "فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم ، فنظر ـ لا نظر الله إليه ـ إلى صلابة العلوية ، وإلى لين العباسية ، فترك تقاه واتّبع هواه ، وباع آخرته بدنياه ، وسلّط طواغيت خراسان ، وخوارج سجستان ، وأكراد أصفهان على آل أبي طالب ، يقتلهم تحت كل حجر ومدر ، حتّى سلّط الله عليه أحب الناس إليه فقتله" [2] .

---

[1] ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ٢٠٤/١ .

[2] رسائل أبي بكر الخوارزمي ، ص١٢٨ .

الفصل الثالث
عبد الله بن سبأ

بالرغم من الواقع الحي للشيعة من مؤسسات دينية في أغلب بقاع الأرض ، ومن فعاليات دينية وثقافية وعلمية ، ومساجد ، وحوزات علمية كلها تردد كلمات التوحيد ليل نهار ، فإننا نواجه واقعاً أليماً من كل أولئك الذين يكتبون عن الشيعة ضاربين عرض الحائط ما تراه أعينهم وتسمع آذانهم ، فهم يكتبون أقوالا صاغها الوهم والجهل ، أو سوء النية والحقد غير مبالين بما عليه حال أمّتهم ، وما يزالون يعتقدون ، ويدعون غيرهم ليعتقدوا بأنّ الشيعة فرقة صاغها وأسسها يهودي حاقد مدعياً الإسلام هو (عبد الله بن سبأ) ، وأعطوه من الصفات والنعوت والقدرات ما يدخل في باب المعجزات ، والتي يمكن أن تكون أشبه بحكايات العجائز والعفاريت وألف ليلة وليلة ، وهذا يمثّل استخفاف بعقل أمّة ، ويجعل الخرافة أحد ركائز تراثنا الديني والفكري ، ولنا أن نسأل ونقول :

من هو عبد الله بن سبأ؟ ومن أيّ البلاد هو؟ وما أصله ونسبه؟ وما فحوى الروايات التي جاءت فيه؟ وما مدى صحة هذه الروايات؟ ولماذا ترتبط الشيعة بعبد الله بن سبأ؟ وهل الشيعة هم السبئية؟

وللإجابة عن سؤال من هو عبد الله بن سبأ؟

نقول : عبد الله بن سبأ او عبد الله بن السوداء وهما رجلان كل منهما غير الآخر وإليك بعض المقتطفات في عبد الله بن سبأ :

محمّد فريد وجدي : عبد الله بن سبأ يهودي من الحيرة أظهر الإسلام [١] .

أحمد عطية الله : عبد الله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء ، وأظهر إسلامه في خلافة عثمان [٢] .

محمّد أبو زهرة : عبد الله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء ، أمّه سوداء ، أسلم أيام عثمان [٣] ، وفي موضع آخر : عبد الله بن سبأ كان يهودي من أهل الحيرة أظهر الإسلام [٤] .

أحمد أمين : وكان عبد الله بن سبأ من يهود اليمن ، فأسلم ، وهو ابن السوداء [٥] .

حسن إبراهيم حسن : رجل من أهل صنعاء هو عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم [٦] .

المقريزي : عبد الله بن سبأ قام زمان الإمام علي ، وأحدث القول

---

[١] محمّد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، ١٧/٥ بتصرف واختصار .

[٢] أحمد عطية الله ، القاموس الإسلامي ، ٢٢٢/٣ .

[٣] محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، ٣٥/١ .

[٤] المرجع السابق ، ٤٥/١ .

[٥] أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص٤٠٣ .

[٦] حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ، ص٢٥٢ .

بوصية رسول الله لعلي هو ابن السوداء؟[١]

ابن حزم : عبد الله بن سبأ الحميري قال لعلي : أنت الله فاستعظم علي الأمر منهم ، وأمر بنار فأججت وأحرقهم [٢] .

عبد القاهر البغدادي : عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي بن أبي طالب ، ثمّ قال : إنّ عبد الله بن السوداء من أهل الحيرة كان يعين السبئية على قولها ، وابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، فانتسب إلى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء في الكفر ودَلّس ضلالته في تأويلاته [٣] .

الذهبي : عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة ، ضال مضل أحسب أنّ علياً حرقه [٤] .

الطبري : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من صنعاء أمّه سوداء [٥] .

هذه الأقوال في عبد الله بن سبأ خمسة منها على أنّ عبد الله بن سبأ هو ابن السوداء وهم : "أحمد عطية الله ، محمّد أبو زهرة ، أحمد أمين ، المقريزي، الطبري" .

---

[١] المقريزي ، الخطط ، ١٧٥/٤ ، باختصار .

[٢] ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ١٤٢/٤ ، باختصار .

[٣] عبد القادر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٢٢٥ وص٢٣٣ وص٢٣٥ ، باختصار .

[٤] الذهبي ، ميزان الاعتدال ترجمة عبد الله بن سبأ (٤٣٤٣) تسلسل عام .

[٥] محمّد بن جرير ، تاريخ الطبري ، ٦٤٧/٢ .

وذهب عبد القاهر البغدادي والشعبي ومحمّد فريد وجدي وجماعة من أهل العلم قال عنهم عبد القاهر البغدادي "المحققون من أهل السنة" أنّ ابن السوداء غير عبد الله بن سبأ .

وكما اختلفوا في شخصيته أهو عبد الله بن سبأ أم هو عبد الله بن السوداء أم هو عبد الله بن الأمة السوداء؟ كذلك اختلفوا في أصله؟ ومن أيّ البلاد هو؟

فقد ذهب أحمد عطية الله ، ومحمّد أبو زهرة ، وحسن إبراهيم حسن ، والطبري إلى أنّه من صنعاء .

وذهب ابن حزم إلى أنّه حميري .

وقال آخرون : إنّه من الحيرة .

وكذلك اختلفوا في زمان ظهوره فقال البعض : إنّه ظهر أيام عثمان ، وقال آخرون : إنّه أظهر دعوته أيام علي ، ولم يذكر أحد متى أسلم ، وكيف أسلم؟ وكذلك لم نقف على موته ، وهل مات محروقاً ، حرقهُ الإمام عليّ؟ أمّا الذين قالوا بأنّ الإمام سيّره إلى المدائن ، لم يذكروا أيّ شيء عنه بعد أن سار إليها فهل تاب وأناب ورجع واستغفر أم بقي واستكبر أم مات وقامت قيامته؟ ولم يعيّن أحد سنة لموته غير أحمد عطية الله في موسوعته الإسلامية ، حيث قال : إنه توفى سنة ٤١هـ .

ثمّ إنّ عبد الله هذا اسم عربي خالص لم يعرف إلاّ عند العرب ، وكذلك سبأ فقد كانوا قديماً يقولون لكل عربي (سبائي) ، وليس أحد من

العرب إلاّ ويعرف اسم أبيه وجدّه وأجداده من بعده ، وهذه خاصة بالعرب وحدهم ، وليس أحد من العرب إلاّ يسمي آباءه أباً فأباً ، حاطوا بذلك أحسابهم ، وحفظوا به أنسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ، ولا ينسب إلى غير نسبه ، ولا يدعى لغير أبيه [1] .

والنتيجة رجل باسمين أو اسمين لرجلين ، من الحيرة تارة ، ومن صنعاء تارة أخرى ، ومن حمير تارة ثالثة ، أو من عموم اليمن كلها ، ولم يعرف سادتنا متى ولد ، او متى أسلم ، ولماذا سمي بابن السوداء ، فهل صحب أمّه معه حيث سار حتّى غلبت سمتها على اسمه فعرف به ، فهم ولا يعرفون اسمه على وجه الدقة رغم أنّهم يعرفون اسم كلب أصحاب الكهف ، وأسماء من في الكهف موجودة في كتب التفسير ، ومجالس العرب ، وكان البحث عن أسمائهم أمراً بالغ الصعوبة والتحري ، فهل كلب أصحاب الكهف من المهم معرفته حتّى تتثبت الأمّة ، فبحثوا ودققوا؟! وأنّ أمر ابن سبأ كان من الهيّن ، فلم يتحققوا من النقل والضبط ، وغفلوا ، وضيّعوا ما هم عنه مسؤولون ، وعن هذا الذي هو ابن سبأ إن كان بريء فلماذا اتّهموه ، وإن كان متّهم فلماذا تركوه يفتن الأمّة ، مع أنّهم ضربوا المعارضين بمنتهى الشدّة ، وهم من خيرة الصحابة كعمار وابن مسعود وغيرهم ، هذا ما لم نعرفه ، والقوم ليس عندهم جواب على ذلك .

---

[1] ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ص٢٧٧ .

ما هي فحوى الروايات التي جاءت فيه؟

١ ـ **قال محمّد فريد وجدي** : السبائية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في الانتصار لعلي ، وزعم أنّه كان نبياً ، ثمّ غلا فزعم أنّه الله ، ودعا إلى ذلك قوماً من أهل الكوفة ، فاتصل خبرهم بعلي ، فأمر بإحراق قوم منهم ، ثمّ خاف من إحراق الباقين أن ينتقض عليه قوم فنفى ابن سبأ للمدائن ، فلمّا قتل علي زعم ابن سبأ أنّه ليس المقتول علياً ، وإنّما هو شيطان صور على صورته ، وهذه الطائفة تزعم أنّ المهدي المنتظر إنّما هو علي ، وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة فأظهر الإسلام ، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنّه وجد في التوراة أنّ لكل نبي وصياً ، وأنّ علياً وصي محمد صلى الله عليه وآله فلمّا سمعوا ذلك قالوا لعلي إنّه من محبيك ، فرفع علي قدره وأجلسه تحت منبره ، ثمّ بلغه عنه غُلوه فيه ، فهمّ بقتله فنهاه ابن عباس فنفاه إلى المدائن [١] .

وقد ذكر الشعبي : أنّ عبد الله بن السوداء كان يعين السبائية على قولهم ، وكان ابن السوداء في الأصل من يهود الحيرة .

٢ ـ **قال أحمد عطية الله** : ابن سبأ رأس الفرقة السبائية من الشيعة ، وهو عبد الله بن سبأ كان من يهود صنعاء ، وأظهر إسلامه في خلافة

---

[١] محمّد فريد وجدي ، دائرة معارف القرن العشرين ، مادة سبأ ، ١٧/٥ .

عثمان يعرف بابن السوداء ، انتقل إلى المدينة وبثّ فيها أقوالاً وأراء منافية لروح الإسلام ونابعة من يهوديته ومن معتقدات فارسية كانت شايعة في اليمن ، برز في صورة المنتصر لحق عليّ ، وادعى أنّ لكل نبي وصياً ، وأنّ علياً وصي محمّد ، كما ادعى أنّ في علي جزءاً إلهياً ، طاف بأنحاء العراق ناشراً دعوته ، فطرده عبد الله بن عامر من البصرة ، فنزل الكوفة وأوغر صدور الناس على عثمان ، وانتقل إلى دمشق في ولاية معاوية ، وفيها التقى بأبي ذر الغفاري ، وحرّضه على الثورة مدّعياً أنّه ليس من حق الأغنياء أن يقتنوا مالا ، وأُخرج من الشام فَنَزل مصر فالتف حوله الناقمون على عثمان ، وفيهم محمّد بن أبي بكر وأبو حذيفة ، ووضع على لسان علي أقوالاً لم يقلها كادعاء علم الغيب ، وبعد استشهاد علي قال : إنّه لم يقتل وسيرجع ، وبذلك وضع فكرة الرجعة بين الشيعة .

٣ ــ **علي بن إسماعيل الأشعري** : السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أنّ علياً لم يمت ، وأنّه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة ، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وذكروا عنه أنّه قال لعلي : أنت أنت ، والسبئية يقولون بالرجعة [١] .

٤ ــ **قال عبد القاهر البغدادي** : الفصل الأوّل في ذكر قول السبئية

---

[١] أحمد عطية الله ، القاموس الاسلامي ، ٢٢٢/٣ .

وبيان خروجها عن ملّة الإسلام . السبائية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي بن أبي طالب ، وزعم أنّه كان نبياً ، ثمّ غلا فزعم أنّه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، ورفُع خبرهم إلى علي ﵁ وأمر علي بإحراق قوم منهم في حفرتين حتّى قال بعض الشعراء في ذلك :

لترم بي الحوادث حيث شاءت　　　إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثمّ إنّ علياً خاف من إحراق الباقين منهم اختلاف أصحابه عليه ، فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن ، فلمّا قتل علي زعم ابن سبأ أنّ المقتول لم يكن علياً كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي ، وأنّ علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ﵇ .

وقد روي عن عامر بن الشراحيل الشعبي أنّ ابن سبأ قيل له : إنّ علياً قد قتل ، فقال : إن جئتمونا بدماغه في صرة لم نصدق بموته ، لا يموت حتّى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها .

وهذه الطائفة تزعم أنّ المهدي المنتظر هو علي دون غيره .

إنّ عبد الله بن السوداء كان يعين السبئية على قولها ، وكان الحيرة فأظهر الإسلام ، وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق و رياسة ، فذكر لهم أنّه وجد في التوراة أنّ لكل نبي وصياً ، وأنّ علياً وصي محمّد ﷺ وأنّه خير الأوصياء كما أنّ محمّداً خير الأنبياء ، فلمّا سمع ذلك منه شيعة علي قالوا لعلي : إنّه من محبيك ، فرفع علي قدره ،

وأجلسه تحت منبره ، ثمّ بلغه عنه غلوه فيه فهمّ بقتله ، فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال : إن قتلته اختلف عليك أصحابك ، وأنت عازم على قتال أهل الشام ، وتحتاج إلى مداراة أصحابك ، فلمّا خشي من قتله نفاه إلى المدائن . فافتتن به رعاع الناس بعد قتل علي ﵁ ، وقال لهم ابن السوداء : والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً ، يغترف منهما شيعته .

وقال المحققون من أهل السنة : إنّ ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده ؛ لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى ﵇ ، فانتسب إلى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الأهواء فى الكفر [1].

٥ ـ **قال ابن حزم** : من الفرق الغالية الذين يقولون بالألوهية لغير الله عزّ وجل أوّلهم فرقة من أصحاب عبد الله بن سبأ الحميري لعنه الله أتوا إلى علي بن أبي طالب ، فقالوا مشافهة : "أنت هو" ، فقال : "ومن هو" قالوا : "أنت الله" ، فاستعظم الأمر ، و أمر بنار فأججت ، وأحرقهم بالنار ، فجعلوا يقولون وهم يرمون في النار : "الآن صح عندنا أنّه الله تعالى ؛ لأنّه لا يعذّب ، بالنار إلاّ رب النار" وفي ذلك يقول : لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً [2] .

[1] عبد القاهر البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص٢٣٥ : ٢٣٣ ، باختصار .

[2] ابن حزم ، الفصل في الملل والنحل ، ١٤٢/٤ .

٦ ـ **قال الشهرستاني** : وهو ـ أي : عبد الله بن سبأ ـ أوّل من فرض القول بإمامة علي ، ومنه انشعبت أصناف الغلاة . وقال : وإنّما أظهر ابن سبأ هذه المقالة بعد انتقال علي ﷺ . واجتمعت عليه جماعة ، وهم أوّل فرقة قالت بالتوقف والغيبة والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي [1] .

٧ ـ **قال الطبري** : إنّه لمّا ورد ابن السوداء الشام لقي أبي ذر فقال : يا أبا ذر ألا تعجب إلى معاوية يقول : المال مال الله ، ألا إنّ كل شي لله ، كأنّه يرد أن يحتجنه دون المسلمين ، ويمحو اسم المسلمين ، فأتاه أبو ذر فقال : ما يدعوك إلى أن تسمي مال المسلمين مال الله؟ قال معاوية : يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله ، والمال ماله ، والخلق خلقه ، والأمر أمره؟ قال : فلا تقله . قال : فإنّي لا أقول إنّه ليس لله ولكن سأقول مال المسلمين . قال : وأتى ابن السوداء أبا الدرداء ، فقال له : من أنت؟ أظنك والله يهودياً ، فأتى عبد الله بن الصامت فتعلّق به ، فأتى به معاوية فقال : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر [2].

لمّا أرسل عثمان عماراً إلى مصر ليكتشف له أمر الإشاعات وحقيقة الحال استماله السبئيون ، وكان كنانة بن بشر هذا واحداً منهم [3] .

---

[1] الشهرستاني ، الملل والنحل ، ٣٢١/٢ .

[2] تاريخ الطبري ٦٦/٥ نقلا عن تحقيق محب الدين الخطيب على العواصم من القواصم ص٧٢ .

[3] تاريخ الطبري ٩٩/٥ ، نقلا عن المصدر السابق .

وذكر في أحداث سنة خمس وثلاثين : كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمّه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين ، يحاول ضلالتهم ، فبدأ بالحجاز ، ثمّ البصرة ، ثمّ الكوفة ، ثمّ الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ، فأخرجوه حتّى أتى مصر ، فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم أنّ عيسى يرجع ، ويكذّب بأنّ محمّداً يرجع ، وقد قال الله عزّ وجل ﴿**إنَّ الَّذي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إلَى مَعَاد**﴾[١] فمحمّد أحق بالرجوع من عيسى قال : فقُبل ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة ، فتكلموا فيها ، ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّه كان ألف نبي ، ولكل نبي وصي ، وكان علي وصي محمّد ، ثمّ قال : محمّد خاتم الأنبياء ، وعلي خاتم الأوصياء ، ثمّ قال بعد ذلك : من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمّة ، ثمّ قال لهم بعد ذلك : إنّ عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله ، فانهضوا في هذا الأمر فحرّكوه ، وابدأوا بالطعن على أمرائكم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم إلى هذا الأمر ، فبث دعاته وكاتب من كان استفسد في الأمصار وكاتبوه ، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم ، وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

---

[١] القصص : ٨٥.

٨ ـ **قال ابن كثير** : في باب ذكر مجي الأحزاب إلى عثمان للمرّة الثانية ، وساق نفس ما قاله الطبري وزاد ، ومعهم ابن السوداء وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام ، وأحدث بدعاً قولية وفعلية [1] .

مناقشة (الروايات) :

هذه ثمانية (روايات) جامعة شملت أصحاب السير والتاريخ والمغازي ، وأصحاب المقالات والفرق ، والمؤرّخون المعاصرون ، وأصحاب الموسوعات العلمية .

وكما اختلفوا فيما سبق في اسمه ، ومن أيّ البلاد هو؟ ومتى خرج بدعوته؟ فهاهم يختلفون ـ أيضاً ـ في مقالته ، فمنهم من قال : إنّه قال إنّ علياً هو النبي ، وفي نفس المقال قال : ادّعى ابن سبأ في علي أنّه إله أو جزء من إله ، وهم محمّد فريد وجدي وأحمد عطية الله وعبد القاهر البغدادي وابن حزم والشهرستاني . وقالوا : إنّ ابن سبأ ادّعى أنّ علياً وصي محمّد ، رغم أنّهم قالوا : بنبوّته وألوهيّته . كل ذلك بدون وعي وتأمل ، فقالوا : إنّ ابن سبأ قال إنّ علياً إله ، ونبي ، ووصي النبي ، وأنّه في السحاب ، فأيّ نبي قبله سكن السحاب؟! أو أيّ وليّ سكن السحاب؟! أو أي إله سكن السحاب؟! أكانوا القوم بلا عقول حتّى تسري فيهم هذه الدعوة؟!

---

[1] الحافظ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ١٧٣/٧ .

وتحدّثوا فيما تحدّثوا فيه أنّه طاف في الحجاز ، والكوفة ، والبصرة ، والشام ، ومصر ، وهذه الأمصار كانت تعجّ بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله .

أمّا مصر فكان بها حوالي خمسون صحابياً ، منهم : عمرو بن العاص ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وعقبة بن عامر ، وأبو زمعة البلوي ، وبصرة الغفاري ، وبصرة بن أبي بصرة ، وخرشة بن الحارث ، وجنادة الأزدي ، وسعيد بن يزيد الأزدي ، والأنماري ، ومعاوية بن خديج ، ومسلمة بن مخلد بن الصلت ، وعبد الرحمن بن عديس ، فهل يترك أهل مصر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويتّبعوا هذا اليهودي حديث العهد بالإسلام؟! وما هذا الذي يؤهّله حتّى يتطاول على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويجمع الناس حوله؟!

وإنّ كان في مصر خمسون صحابياً وعددٌ من التابعين ، فإنّ في الكوفة ما يزيد عن مائة وخمسين هم من خلّص أصحاب صلى الله عليه وآله منهم : عبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وسهل بن حنيف ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو موسى الأشعري ، والبراء بن عازب ، وعبيد بن عازب ، وزيد بن أرقم ، والمغيرة بن شعبة ، وحجر بن عدي ، وخزيمة بن ثابت ، والنعمان بن ثابت ، وغيرهم من الصحابة والتابعين ممن روى عن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي موسى ، منهم : شريح القاضي ، وسعيد بن جبير ، وسعد بن حذيفة ، وقيس بن زيد ،

وأويس القرني ، وسعد بن مالك ، فكيف ترك الناس كل هؤلاء وافتتنوا برجل ليس له في الإسلام قدم؟! وكيف ترك الناس كل هؤلاء واتّبعوا صاحب دعوة تنقض الإسلام ، وترفع لواء الكفر؟!

والعجب العجاب تلك الطريقة التي اتّبعها عمّال الأمصار معه ، كما قال الطبري وغيره ، من أنّهم لم يستوقفوه ، وإنّما أخرجوه من مصر إلى البصرة ، ثمّ إلى الكوفة ، ثمّ إلى الشام ، ثمّ إلى مصر ، وكأنّهم يدفعونه إلى أن ينشر دعوته في الأمصار!! أفتونا يا سادتنا هل هذه الدعوة عقوبتها النفي؟!

وهنا ملاحظة اُخرى وهي : أنّه لو أسلم ابن سبأ أو ادّعى الإسلام فليس عليه رقيب أو حسيب من الناس في إسلامه ، أمّا إذا ادّعى النبوة لنفسه أو لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله أو ادّعى الألوهية لأحد من الناس أو قال بحلول جزء إلهي في أحد ، فكيف يترك صاحب المقال دون عقاب شرعي على كفره؟!

ولماذا لم يعاقبه الخليفة عثمان رغم أنّه كان شديداً مع بعض أصحاب رسول الله كعبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر ؟! وكيف تركه معاوية والي الشام رغم أنّ عبادة بن الصامت التقى به وأتى به إلى معاوية ، وقال له : هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر ، فلماذا سيّر أبا ذر إلى الخليفة ، وطرد ابن سبأ إلى مصر ، لماذا؟! الذي فعله؟ وهل كان

ابن سبأ أقوى من النبي في دعوته حتّى يتبعه أصحابه كأبي ذر وعمار ابن ياسر وعبد الرحمن بن عديس؟!

كيف يُلبس على الناس هذه الأقوال؟! وبأيّ سلطان فعله وهو ليس صحابياً ، أو محدثاً أو فقيهاً ، ولا شيء من هذا كله ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأصحاب العلم حضور؟!

وكيف تركه الإمام علي عليه السلام الذي لم يخش الناس ، وهو الذي حارب الزبير ، وطلحة ، وعائشة ، ويترك هذا الدعي دون عقوبة ، سوى إخراجه إلى المدائن؟!

وهناك روايات تقول : بأنّ علياً عليه السلام حرق قوماً من أتباعه وخاف الفتنة فتركه ، فكيف يحرق الأتباع ويترك المتبوع؟!

وكيف استطاع هذا الدعي الحدث أن يحدث هذه الفتنة العظيمة بين أمّة النبي الخاتم؟! ويدعو الناس إلى قتل عثمان وتستجيب الناس لحاقد كافر غالي خارج عن الإسلام ، فأيّ الناس هم؟!

فما بالك بأنّ هؤلاء الذين تلاعب بهم ابن سبأ هم أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله ، وحواريوه ، وأمناؤه ، وآل بيته ، وأزواجه ، فإمّا أنّ هؤلاء أطاعوه ، أو منعهم خشيته وهذا مالا يعقله عاقل ، و إمّا أنّهم علموا ولم يدعوا فترفّعوا عن هذا الأمر ، وهذا يستحيل عن الذين جاء فيهم القرآن بدعوتهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإمّا أنّهم تسامحوا معه،

فلماذا تسامحوا مع ابن سبأ وشددوا على كبار الصحابة كأبي ذر أفيدونا يرحمكم الله؟! أكان عثمان أم معاوية أم علي أم عمّال الأمصار يرعون دم الذمي وأهل الكتاب المارقين ، ويوغلون في دماء إخوانهم ، كما فعل الخوارج مع عبد الله بن خباب بن الأرت؟!

مدى صحة هذه الروايات

نقول : إنّ ما سقناه من روايات نقلناها عن محمّد أبو زهرة ، ومحمّد فريد وجدي ، وأحمد عطية الله ، وأحمد أمين ، وحسن إبراهيم حسن ، والمقريزي ، والذهبي ، وابن حزم ، وعبد القاهر البغدادي ، وعلي بن إسماعيل الأشعري، وابن كثير ، والشهرستاني ، والطبري ، وهؤلاء يمكن أن يصنّفوا في مجموعات ثلاث هي :

باحثون معاصرون ، وأصحاب موسوعات ، وفقهاء .

أصحاب المقالات والفرق .

أصحاب التاريخ والسير والمغازي .

المجموعة الأولى : الباحثون المعاصرون ، وأصحاب الموسوعات ، والفقهاء ، وهم :

محمّد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين : أشار إلى أنّه نقل ذلك عن الطبري .

محمّد أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية : يشير أنّه نقل عن الطبري .

أحمد عطية الله في القاموس الإسلامي : نجده في مادة "سبأ" ينقل رواية تشابه رواية الطبري وابن كثير .

أحمد أمين في فجر الإسلام : اقترب إلى ما قاله السيد محمّد رشيد رضا في كتابه السنة والشيعة ، وكذلك ينقل عن ابن خلدون والطبري في صفحة (٤٢٣) وكذلك في صفحة (٤٣٨) ، وفي نهاية هذا المبحث ينقل عن المستشرق ولهوسن .

حسن إبراهيم حسن في كتابه تاريخ الإسلام السياسي : وهو يسجّل في هامش الصفحة (٣٥٢) أنّه نقل من الطبري .

محمّد رشيد رضا في كتابه السنة والشيعة ـ والذي نقل عنه أحمد أمين ـ يقول : إنّ التشيّع ، لعلي كان مبدأ تفرّق هذه الأمّة ، وكان مبتدع أصوله يهودي ، واسمه عبد الله بن سبأ ، أظهر الإسلام خداعاً ، وقد نص في كتابه على أنّ المصدر الذي اعتمد عليه الكامل في التاريخ لابن الأثير .

ولهوسن ـ والذي اعتمد عليه أحمد أمين كأحد مصادره ـ في كتابه الدولة الأموية وسقوطها ، وقال تحت عنوان "السبئية وروح النبوة" : وتبرز في هذه الظروف فرقة في الكوفة كانت بعيدة عن الأنظار يطلق عليه اسم السبئية تغيّر شكل الإسلام تغييراً تامّاً ، ويقول : إنّ السبئية مشتقة من ابن سبأ ، وهو يهودي من اليمن . وقال تحت عنوان :

"السبئية متطرّفون تقمصيون" وللمتطرفين أسماء مختلفة لا تدل إلاّ على ظلال لا قيمة لها من المعاني ، وكانوا أوّلا يسمّون السبئية . ويقول سيف بن عمر : إنّ السبئية كانوا من أوّل الأمر من أهل الشر والسوء في تاريخ حكم الله ، هم قتلة عثمان، فتحوا باب الحرب الأهلية ، وأسسوا فرقة الخوارج . وبعد أن حدد اسم سيف في موضعين مختلفين يشير إلى أنّه استند في مصدره إلى الطبري .

فهذه هي المصادر التي اعتمد عليها هذا الصنف من الناس تنحصر في "ابن خلدون وابن الأثير وابن جرير الطبري" وسوف نبحث في هذه المصادر التي اعتمدوا عليها .

المجموعة الثانية : أصحاب المقالات والفرق ، وهم :

علي بن إسماعيل الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ، و عبد القاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ، وابن حزم في كتابه الفصل بين الملل و النحل ، والشهرستاني في كتابه الملل والنحل وغيرهم .

والحق أنّهم أخذوا هذه المقالات من أفواه الناس ، ومن معاصريهم دون سند ، وما أوردوه من سند مما تكلّموا به إنّما هو أقوال تُحكى عن فلان عن فلان ، مع ما في كتبهم من تناقض وسخف بيّن قد أوردنا بعضه ، وسوف نكمله فيما بقي لنا من كلام .

المجموعة الثالثة : أصحاب التاريخ والسير والمغازي ، وهم :

المقريزي المتوفى ٨٤٨هـ في الخطط : أورد كلاماً يشبه كلام أهل الفرق ، وأقوالا أخرى تشبه روايات سيف بن عمر .

وابن خلدون المتوفي ٨٠٨ هـ في تاريخه : المبتدأ والخبر ، فإنّه قد أورد قصّة السبئية في ذكره حادثة الدار والجمل ، فقال : هذا أمر الجمل ملخصاً من كتاب أبي جعفر الطبري اعتمدناه للوثوق به وسلامته من الأهواء الموجودة في كتب ابن قتيبة وغيره من المؤرخين [١] .

وأمّا ابن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ ، فقد أورد القصّة في ج٧ من تاريخه البداية والنهاية "باب ذكر مجيء الأحزاب إلى عثمان للمرّة الثانية من مصر" فقال في ص١٧٣ منه : سيف بن عمر التميمي عن محمّد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان ، وقاله غيرهم أيضاً ، قالوا : لمّا كان في شوال سنة خمس وثلاثين ، خرج أهل مصر في أربع رقاق على أربعة أمراء ومعهم ابن السوداء ، وكان أصله ذمياً فأظهر الإسلام ، وأحدث بدعاً قولية وفعلية ، قبّحه الله .

ونقل القصّة حتّى إذا انتهى من سرد واقعة الجمل ص ٢٥٢ منه قال : هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر بن جرير رحمه الله .

والذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ في كتابه تاريخ الإسلام : فإنّه قد أورد ذكر ابن سبأ في حوادث سنة خمس وثلاثين لدى ذكره مقتل عثمان بن

---

[١] ابن خلدون ، التاريخ ، ٤٣٨/٢ .

عفان في ج ١٦٩/٢ ، وقال سيف بن عمر عن عطية عن يزيد الفقعسي قال: لمّا خرج ابن السوداء إلى مصر... الحديث .

وهو هنا ينقل من سيف بن عمر وكتابه الفتوح والردة حيث جعله أحد مصادره التي ذكرها في مقدّمة كتابه قال : طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة ، ومادته من : الفتوح لسيف بن عمر ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ الطبري [١] .

ابن الأثير المتوفى ٦٣٠ هـ في كتابه الكامل في التاريخ : يذكر القصة كاملة في حوادث سنة ٣٠-٣٦هـ ، وهو يرجعها كما قال في مقدّمته إلى الطبري ، قال : فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئاً إلاّ ما فيه زيادة بيان أو اسم إنسان أو مالا يطعن على أحد منهم في نقله ، وإنّما اعتمدت عليه من بين المؤرخين إذ هو الإمام المتقن حقاً الجامع علماً ، وصحة اعتقاد وصدقاً .

وبذلك فإنّ هؤلاء الكتّاب يرجعون إلى الطبري في ما ينقلون عن عبد الله بن سبأ والسبئية ، فما هو مصدر الطبري؟

الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ في كتابه "تاريخ الأمم والملوك" في حوادث سنة ٣٠ ـ ٣٦هـ ذكر قصة ابن سبأ والسبئية في مقتل عثمان وحرب الجمل عن طريق سيف وحده ، وللطبري إلى أحاديث سيف

---

[١] الذهبي ، تاريخ الإسلام ، المقدّمة ١ : ١٢ .

طريقان ، الطريق الأوّل : في ما رواه مشافهة عن عبيد الله بن سعيد الزُهري عن عمّه يعقوب بن إبراهيم عن سيف .

الثاني : السري بن يحيى عن شعيب بن ابراهيم عن سيف .

ومن تتمة البحث أن نعرف قيمة هذه الروايات ، ومدى صحتها ، ومن هم هؤلاء الرجال عن طريق ترجمة رجال السندين؟

ترجمة رجال السندين :

الطريق الأوّل : عبيد الله بن سعد الزهري عن عمّه يعقوب بن إبراهيم عن سيف .

هو : عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف الزهري أبو الفضل البغدادي ، روى عن أبيه وعمّه يعقوب وأخيه إبراهيم بن سعد ويونس بن محمّد وأبي الجواب وروح بن عبادة وغيرهم ، ولد سنة ١٨٥ هجرية ، ووثّقه الدارقطني . قال البغوي ومحمّد ابن مخلد : مات في ذي الحجة سنة ستين ومائتين [١] .

وأبوه هو : سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ويكنى أبا إسحاق ، ولي قضاء واسط في خلافة هارون ، وكان يروي كتب أبيه ، وسمع منه بعض البغداديين ، وتوفي في سنة إحدى ومائتين [٢] .

---

[١] ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ١٥/٧ .

[٢] محمّد بن سعد ، الطبقات الكبير ، ٣٤٥/٩ .

وعمّه الذي يروي عنه ، هو : يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري ويكنى أبا يوسف ، وكان ثقة مأموناً ، وكان يروي عن أبيه المغازي ، وغيرها ، وتوفي سنة ثمان ومائتين[١] .

وفي تهذيب التهذيب أبو يوسف المدني نزيل بغداد وروى عن سيف ابن عمر الضبي[٢] .

الطريق الثاني : السرى بن يحيى عن شعيب بن ابراهيم عن سيف .

هو : أبو عبيدة السري بن يحيى بن السري الكوفي كما في كتاب "ذكر أخبار اصبهان" لأبي نعيم ص٢٣ .

وقال عنه أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم : وكان صدوقاً[٣] ، وذكره ابن حبان في الثقات[٤] .

وأمّا شعيب بن ابراهيم الكوفي ، راوية كتب سيف عنه ، فيه جهالة انتهى . ذكره ابن عدي وقال ليس بالمعروف وله أحاديث وأخبار وفيه بعض النكرة[٥] .

ترجمة سيف بن عمر :

هو كما في تهذيب التهذيب : سيف بن عمر التميمي البرجمي .

---

[١] مرجع سابق ٣٤٥/٩ .

[٢] ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، ٣٨/١١ .

[٣] الجرح والتعديل ٤ : ٢٦٣ ، رقم ٦٣٤٤ .

[٤] كتاب الثقات ٥ : ٢١١ ، رقم ١٥٤٩ .

[٥] لسان الميزان ٣ : ١٤٥ .

ويقال : السعدي . ويقال : الضبي . ويقـال : الأسـدي الكـوفي صـاحب كتاب الردة والفتوح .

قال ابن معين : ضعيف الحديث . وقال مرّة : فلْسٌ خيرٌ منه .

وقال أبو حاتم : متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي .

وقال أبو داود : ليس بشي .

وقال النسائي والدارقطني : ضعيف .

وقال ابـن عـدي : بعـض أحاديثـه مـشهورة ، وعامتهـا منكـرة لـم يتـابع عليها .

وقال ابن حبان : يروي الموضـوعات عـن الأثبـات ، قـال : وقـالوا : إنّـه كان يضع الحديث .

قلت : بقية كلام ابن حبان اتّهم بالزندقة .

وقال البرقاني عن الدارقطني : متروك .

وقال الحاكم : اتّهم بالزندقة ، وهو في الرواية ساقط .

قرأت بخط الذهبي مات سيف زمن الرشيد [١] .

فهذا سيف وهذه أحاديثـه التـي ذكرهـا الأقـدمون للمعرفـة ، فـإذا هـي تنقل جيلا بعد جيـل حتّـى تجـدها عمـدة فـي التـاريخ ، رغـم أنّ سـادتنا العلماء قالوا فى سيف مثلما قال مالك في الخمر ، ورغم أنّ قصّة ابن سـبأ لم ترد إلاّ من هذين الطريقين المنتهيين إلى سيف بن عمر .

---

[١] تهذيب التهذيب ٤ : ٢٩٥ ، رقم ٥٠٦ .

بيد أنّ الكبر وضيق الأفق أخذ بالبعض أن يقول مقالة تشبه مقالة علي السالوس في موسوعته عندما قال : ونتيجة لدور ابن سبأ في تأسيس عقيدة الرافضة ، ولرفع هذه التهمة الثابتة ، ألّف مرتضى العسكري الشيعي كتاباً عن عبد الله بن سبأ ، وقال : إنّه شخصية خرافية لا وجود لها ، وأنّ قصّته وضعها سيف بن عمر ، واشتهرت عن طريق الطبري . وما قاله هذا الشيعي غير صحيح ، بل جرأة عجيبة على إنكار ما هو ثابت مشتهر [١] .

ورغم فساد مرجعيات قصّة ابن سبأ من حيث السند ، ورغم اضطراب متنها في أكثر من موضع ، فسند القصّة يحتوي الكذاب والوضّاع والمجهول ، بيد أنّ علي السالوس في موسوعته يؤكّد أنّها ثابتة ومشتهرة .

نعم ، القصّة مشتهرة ، ولكنها غير ثابتة ، فالثبوت يتطلّب الوجود والحقيقة والصحة فأين صحة الرواية؟! وعلماء الرجال وأصحاب الحديث يكذبون سيف بن عمر ويتهمونه بالزندقة ، وهي لم تنقل إلاّ من طريقه وإليه تنتهي ، وليس لها طرق أُخرى حتّى يقوّي بعضها بعضاً . وقديماً قال علماء المنطق : وليس كل مشهور صادقاً ، فإنّ المشهور لا يقابل الكاذب حتّى يجب أن يكون صادقاً ، بل يقابل الشنيع [٢] .

---

[١] علي السالوس ، مع الشيعة الاثنى عشرية ١ : ١٦ .

[٢] الجوهر النضيد : ٢٣٥ .

آراء أخرى في ابن سبأ

رأي طه حسين

استعرض الدكتور الصورة التي رسمت لابن سبأ وانتهى إلى أنّ ابن سبأ شخصية وهمية ، ودعم رأيه بالأمور التالية :

أوّلا : إنّ كل المؤرخين الثقاة لم يشيروا إلى قصّة عبد الله بن سبأ ، ولم يذكروا عنها شيئاً .

ثانياً : إنّ المصدر الوحيد في هذه القصّة هو سيف بن عمر ، وهو رجل معلوم الكذب ، ومقطوع بأنّه وضّاع .

ثالثاً : إنّ الأمور التي أُسندت إلى عبد الله بن سبأ تستلزم معجزات خارقة لفرد عادي ، كما تستلزم أن يكون المسلمون الذين خدعهم عبد الله بن سبأ وسخّرهم لمآربه ـ وهم ينفذون أهدافه بدون اعتراض ـ في منتهى البلاهة والسخف .

رابعاً : عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعمّاله عنه مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمّد بن أبي حذيفة ، ومحمّد بن أبي بكر ، وعمار ، وغيرهم .

خامساً : قصّة الإحراق وتعيين السنة التي تعرّض فيها ابن سبأ للإحراق تخلو منها كتب التاريخ الصحيحة ، ولا يوجد لها في هذه الكتب أثر .

سادساً : عدم وجود أثر لابن سبأ ولجماعته في واقعة صفين وفي حرب النهروان .

وقد انتهى طه حسين إلى القول : إنّ ابن سبأ شخص ادّخره خصوم الشيعة للشيعة ، ولا وجود له في الخارج [١] .

رأي أحمد محمود صبحي

وليس ما يمنع أن يستغل يهودي الأحداث التي جرت في عهد عثمان ليُحدث فتنة ، وليزيدها اشتعالا ، وليؤلّب الناس على عثمان ، بل أن ينادي بأفكار غريبة ، ولكنّ السابق لأوانه أن يكون لابن سبأ هذا الأثر الفكري العميق ، فيحدث هذا الانشقاق العقائدي بين طائفة كبيرة من المسلمين [٢] .

ويقول في موضع آخر : ويبدو أنّ مبالغة المؤرخين وكتّاب الفرق في حقيقة الدور الذي قام به ابن سبأ يرجع إلى سبب آخر غير ما ذكره الدكتور طه حسين ، فلقد حدثت في الإسلام أحداث سياسية ضخمة ، كمقتل عثمان ، ثمّ حرب الجمل ، وقد شارك فيها كبار الصحابة وزوجة الرسول ، وكلهم يتفرقون ويتحاربون ، وكل هذه الأحداث تصدم وجدان المسلم المتتبع لتاريخه السياسي ، أن يبتلي تاريخ الإسلام هذه الابتلاءات ويشارك فيها كبار الصحابة الذين حاربوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ،

---

[١] طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ٩٦/٢ وما بعدها .

[٢] أحمد محمود صبحي ، نظرية الإمامة : ٣٧ .

وشاركوا فى وضع أُسس الإسلام ، كان لابد أن تلقى مسؤولية هـذه الأحداث الجسام على كاهل أحد ، ولـم يكـن مـن المعقـول أن يتحمّـل وزر ذلك كله صحابة أجلاء أُبلوا مع رسول الله ﷺ بلاءً حسناً ، فكان لابـد أن يقع عبء ذلك كله على ابن سبأ ، فهو الذي أثار الفتنة التي أدّت إلى مقتل عثمان ، وهو الذي حرّض الجيشين يوم الجمل على الالتحـام علـى حين غفلة من علي وطلحة والزبير أمّا فـي التـاريخ الفكـري فعلـى عاتقـه يقع أكبر انشقاق عقائـدي فـي الإسـلام بظهـور الـشيعة ، هـذا هـو تفـسير مبالغة كتّاب الفرق وأصحاب المذاهب لا سيما السلفيين والمؤرخين في حقيقة الدور الذي قام به ابن سـبأ ، ولكـن ألـيس عجيبـاً أيـضاً أن يعبـث دخيـل فـي الإسـلام كـل هـذا العبـث فيحـرّك تـاريخ الإسـلام الـسياسي والعقائدي على النحو الذي تمّ عليه وكبار الصحابة شهود [1] .

أصل كلمة "سبئي"

كانت السبئية تدل على الانتساب إلى قبائل الـيمن مـن سـلالة سـبأ بـن يشجب على مدى قرون عديدة .

فلمّا انتصرت هذه القبائـل لعلـي بـن أبـي طالـب وكـانوا عامّـة شـيعته ، وحينما أقام الأمويون دولتهم استعملت كلمة سـبائي أو سـبئي نبـزاً لكـل شيعي ، وهذا ما أثبتته كتابات الدولة ، وخاصّة كتاب زيـاد بـن أبيـه إلـى معاوية في شأن حجر بن عدي وجاء فيه :

---

[1] أحمد محمود صبحي ، نظرية الإمامة : ٣٩ .

بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله معاوية أمير المؤمنين .

أمّا بعد ، فإنّ الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء فكاد له عدوّه وكفاه مؤونة من بغى عليه ، إنّ طواغيت من هذه الترابية السبائية رأسهم حجر بن عدي ، خالفوا أمير المؤمنين ، وفارقوا جماعة المسلمين ، ونصبوا لنا الحرب ، فأظهرنا الله عليهم وأمكننا منهم..." [١] .

فها هو نص رسمي يذكر فيه الترابية السبائية للوشاية بهم لدى السلطان حتّى ينفّذ فيهم جزاء معونتهم لعلي والانتصار له ، فكان جزاء حجر بن عدي وأصحابه القتل في مرج عذراء الذي فتحه الرجل وجعله جزءاً من دولة الإسلام ، وهو اليوم يقف ليقتل هو وأصحابه فيه .

فالاسم له أبعاده السياسية ، وليس له أيّ بُعد مذهبي أو عقائدي آنذاك ، وإلاّ ما سكت عنه معاوية حتّى يجد دفاعاً يدافع به عن نفسه في قتل حجر بن عدي ، ولو كان هناك سبئية بالمعنى الاصطلاحي عند أهل المقالات والفرق لردّ به معاوية على السيدة عائشة وهي تقول له : يا معاوية أما خشيت الله في قتل حجر وأصحابه؟!

ولم يجد ما نجده عند أصحاب التاريخ والمقالات ، وإلاّ لقال لها إنّهم ادّعوا لبشر الأُلوهية ، وأنّه يرجع إلى الدنيا ، أو أنّه يسكن السحاب .

وإنّما قال معاوية : إنّما قتلهم من شهد عليهم .

وهاهو معاوية يحتضر ويقول: يومي منك يا حجر طويل .

---

[١] محمّد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ١٣٥/٢ .

فلم يكن لمعاوية حجة يدافع بها عن نفسه كتلك التي نقرأها عن السبائية .

وبعد مضي أكثر من ثمانية عقود نجد نفس الاسم يذكره أبو العباس السفاح في خطبته بالكوفة لمّا بويع بالخلافة سنة ١٣٢هـ حيث صعد المنبر وخطب وقال : الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمة ، ثمّ تلا آيات التطهير والمودّة وغيرها النازلة في حق أهل البيت عليهم السلام قال : فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا ، وأوجب عليهم حقنا ومودّتنا ، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم ، وزعمت السبائية الضلال أنّ غيرنا أحق بالرئاسة والسياسة والخلافة منّا فشاهت وجوههم [١] .

فالسفاح لم يجد في كنانته من سهام يرمي بها السبائية غير أنّهم زعموا أنّ غيرهم أحق بالخلافة منهم ، ولو كانت سهام أهل الفرق عنده لضربهم من فوره وقال : وزعمت السبائية الضلال أنّ علي بن أبي طالب حلّت فيه جزء من الألوهية ، أو قال : مقالة مشابهة مما تحتويه كتب أهل المقالات ، لكنه لم يجد .

وكل ما سبق يدل على أنّ ما انتهينا إليه من أنّ لفظ "السبائية" لفظ كان يطلق على النبز السياسي من الحكّام لمن تولّى أهل البيت ، واستقر

[١] محمّد بن جرير الطبري مرجع سابق ، ٣٩/٣ .

من عهد معاوية إلى عهد بني العباس إلى أن ألّف سيف بن عمر كتابه ولفّق فيه من الأحداث ما لفّق ، وأخذ كل هؤلاء من سيف على سبيل الرواية لا الصحة إلى أن جاء المولعون بالحكايات دون الاهتمام بصحتها ، فكتبوا وزادوا ، وأخذ أصحاب المقالات ما يدور على ألسنة الناس من حكايات دون ما سند ، فأصبحت هذه الحكايات المختلقة أساطير متجسّدة ومتنامية ، وأصبحت هذه الخرافة جزءاً من موروثنا الثقافي إلى أن قام بعض الباحثين من نبش هذا التراث بحثاً عن مواطن الصحة أملا في وحدة المسلمين ، واستجابة لأمر ربّنا بالوحدة في قوله تعالى ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**﴾[1] .

---

[1] آل عمران : ١٠٣ .

فهرس المصادر

١ ـ أحكام القرآن ـ محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت ٥٤٣هـ ـ تحقيق : محمد البجاوي ـ طبع : إحياء الكتاب العربي ، مصر .

٢ ـ الأحوال الشخصية ـ محمّد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ، مصر ـ ١٩٩٣م .

٣ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣هـ ـ طبع مصر ـ ١٢٥٨هـ .

٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ علي بن محمّد الجزري المعروف بابن الاثير ت ٦٣٠هـ ـ طبع القاهرة ـ ١٢٨٠هـ .

٥ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ ـ نهضة مصر ـ ١٩٧١م .

٦ ـ أصل الشيعة وأصولها ـ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ـ طبع العرفان ، بيروت .

٧ ـ أضواء على السنة المحمدية ـ محمود أبو رية ـ دار المعروف ، مصر ـ ١٩٩٤م .

٨ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ دار الكتب المصرية ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٠م .

٩ ـ أعيان الشيعة ـ محسن الأمين العاملي ـ طبع دمشق ـ ١٩٣٥م .

١٠ ـ الإمامة والجماعة والسلطة ـ رضوان السيد ـ دار اقرأ ، بيروت ـ ١٩٨٤م .

١١ ـ الامامة والسياسة ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ ـ طبع مصطفى البابي الحلبي ، مصر ـ ١٣٨٨هـ .

١٢ ـ الإمام الصادق ـ محمد جواد مغنية ـ دار القلم ، بيروت ـ ١٩٧٣م .

١٣ ـ الامام علي في رواية التصحيح رواية التاريخ ـ الدكتور ابراهيم بيضون طبع بيسان ، بيروت ـ ٢٠٠١م .

١٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ـ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ـ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار الكتب المصرية ، القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٥٠م .

١٥ ـ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروف بالسيرة الحلبية ـ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ـ دار المعرفة ، بيروت .

١٦ ـ البداية والنهاية ـ عماد الدين ابو الفداء القرشي المعروف بابن كثير ت ٧٤٤هـ ـ مكتبة دار المعارف ، مصر ـ ١٣٨٦هـ .

١٧ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ ـ تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ـ طبع عيسى البابي الحلبي ، مصر ـ ١٩٦٥م .

١٨ ـ بلاغات النساء ـ ابن أبي طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المروزي الخراساني البغدادي ت ٢٨٠هـ ـ طبع الحيدرية في النجف ـ ١٣٦١هـ .

١٩ ـ البيان والتعريف ـ ابراهيم بن محمد الحنفي ـ طبع حلب ـ ١٣٢٩ هـ .

٢٠ ـ تاج العروس ـ محمد مرتضى الزبيدي ـ طبع بيروت ـ ١٩٦٦ م.

٢١ ـ تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ـ عبد الرحمن بن خلدون ت ٨٠٨هـ ـ طبع نهضة مصر ١٣٥٥هـ .

٢٢ ـ تاريخ أبي الفدا ـ اسماعيل بن علي بن محمود ـ طبع مصر ـ ١٣٢٣هـ .

٢٣ ـ تاريخ الاسلام ـ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ ـ طبع دار الفكر العربي ، مصر ـ ١٩٦٦هـ .

٢٤ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ طبع النهاية المصرية ، مصر ـ ١٩٤٨م .

٢٥ ـ تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري ـ أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ ١٤٠٧هـ

٢٦ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت ت٤٦٣هـ ـ طبع مصر ـ الطبعة الاولى .

٢٧ ـ تاريخ الخلفاء ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع المدني ، القاهرة ـ ١٩٦٤م .

٢٨ ـ تاريخ الخلفاء العباسيين ـ علي بن أنجب الشهير بابن الساعي ت ٦٧٤هـ ـ قدّمه وأعدّ فهارسه : عبد الرحيم الجمل ـ طبع مكتبة الآداب ، مصر ـ ١٩٩٣م .

٢٩ ـ تاريخ المذاهب الإسلامية ـ الإمام محمد أبو زهرة ـ دار الفكر العربي ، مصر ـ ١٩٩٠م .

٣٠ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمدبن أبي يعقوب ـ طبع القاهرة ـ ١٩٦٥هـ .

٣١ ـ التبصير في الدين ـ أبو المظفر الاسفرائيني ت ٤٧١هـ ـ طبع الخانجي ، مصر ـ ١٣٧٤هـ .

٣٢ ـ تذكرة الخواص من الأمّة بذكر خصائص الأئمة ـ يوسف بن قزغلي البغدادي سبط بن الجوزي ت ٦٥٤هـ ـ طبع مصر ـ ١٣٦٩هـ .

٣٣ ـ ترتيب المدارك في أعلام مذهب مالك ـ القاضي عياض ـ طبع مصر ـ ١٩٥٤م .

٣٤ ـ تطور الفكر السياسي في الاسلام ـ الدكتورة فتحية النبراوي ، الدكتور محمد نصر مهنا ـ دار المعارف ، مصر ـ ١٩٨٤م .

٣٥ ـ تفسير الطبري المسمى بجامع البيان في تفسير القرآن ـ أبو جعفر محمد الطبري ت ٣١٠هـ ـ دار الجيل ، بيروت .

٣٦ ـ التفسير تفسير القرآن العظيم ـ الحافظ عماد الدين أبي الفداء القرشي المعروف بابن كثير ت٧٤٤هـ ـ طبع دار مصر .

٣٧ ـ التفسير الكبير المسمى بـ "مفاتيح الغيب" محمد الرازي الملقب بفخر الدين ـ طبع مصر ـ ١٣٨٠هـ .

٣٨ ـ تفسير المنار ـ محمد رشيد رضا ـ طبع مصر ـ ١٣٦٧هـ .

٣٩ ـ تهذيب التهذيب ـ احمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ ـ طبع مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمحروسه حيدر آباد الدكن ـ الطبعة الاولى ١٣٢٧هـ .

٤٠ ـ كتاب الثقات ـ أبو حاتم محمد بن حبان التميمي البستي ت٣٥٤هـ ـ وضع حواشيه : ابراهيم شمس الدين ، تركي فرحان المصطفى ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤١٩هـ .

٤١ ـ الجرح والتعديل ـ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي ت٣٢٧هـ تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكتب العلمية ، بيروت ـ الطبعة الاولى ١٤٢٢هـ .

٤٢ ـ الجوهر النضيد ـ العلامة الحلي ـ انتشارات بيدار ـ تاريخ الطبع : ١٣٦٣ش .

٤٣ ـ الحضارة الاسلامية ـ آدم متز ـ ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ـ طبع لجنة التأليف والترجمة ، مصر ـ ١٩٥٧م .

٤٤ ـ الخصائص الكبرى ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ ـ طبع حيدر آباد ـ ١٣٣٩هـ .

٤٥ ـ الخطط ـ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ـ طبع بولاق ، مصر ـ ١٢٧٠هـ .

٤٦ ـ الخلافة والإمامة ـ ديانة وسياسة ـ دراسة مقارنة للحكم والحكومة في الاسلام ـ الدكتور عبد الكريم الخطيب ـ دار الفكر العربي ، مصر ـ ١٩٦٣م .

٤٧ ـ الخوارج والشيعة ـ فلهوسن ـ ترجمة : عبد الرحمن بدوي ـ مكتبة النهضة المصرية ـ ١٩٥٨م .

٤٨ ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ محمد فريد وجدي ـ دار المعارف مصر ـ الطبعة الثانية ١٩٣٩م .

٤٩ ـ دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ـ عرفان عبد الحميد ـ طبع بغداد ١٩٧٧م .

٥٠ ـ الدر المنثور ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ ـ أحمد الحلبي ، مصر ـ الطبعة الثانية ١٣١٤هـ .

٥١ ـ دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام من أهل بيت رسول الله ﷺ ـ القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي ـ تحقيق : آصف بن علي أصغر فيظي ـ دار المعارف ، مصر ـ ١٩٨٥م .

٥٢ ـ الدولة العربية ـ الدكتور حسن الخربوطلي ـ طبع مصر ـ ١٩٦٠م .

٥٣ ـ رسائل أبي بكر الخوارزمي ـ تحقيق : الشيخ العدوي ـ مصر .

٥٤ ـ روح المعاني ـ محمود الالوسي البغدادي ـ المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر .

٥٥ ـ روضات الجنات ـ السيد محمد باقر الخوانساري ـ طبع ايران .

٥٦ ـ الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية ـ زين الدين الجبعي العاملي المعروف بالشهيد الثاني ـ دار الكتاب العربي ، مصر .

٥٧ ـ رياض الصالحين ـ محيي الدين أبي زكريا النووي ت٦٧٦هـ ـ طبع المكتبة القيمة ، مصر .

٥٨ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ـ محب الدين الطبري ت٦٩٤هـ ـ مصر ـ ١٩٤١م .

٥٩ ـ السيرة النبوية ـ عبد الملك بن هشام ت٢١٣هـ ـ تحقيق : محمد بيومي ـ مكتبة الايمان ، المنصورة ، مصر ـ ١٤١٦هـ .

٦٠ ـ الشيعة في التاريخ ـ محمد حسين الزيني ـ طبع دار الآثار ، بيروت ـ ١٣٩٩هـ .

٦١ ـ الصحاح ـ اسماعيل بن حماد الجوهري ـ طبع دار الكتاب العربي ، مصر .

٦٢ ـ صحيح البخاري ـ أبو عبد الرحمن اسماعيل بن ابراهيم البخاري ت٢٥٦هـ ـ دار احياء التراث العربي ، مصر .

٦٣ ـ صحيح مسلم بشرح النووي ـ مسلم بن الحجاج النيسابوري ت٢٦١هـ ـ دار احياء التراث العربي ـ ١٩٧٢م .

٦٤ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي ـ صلاح الدين حافظ ـ عالم المعرفة العدد ٦٤ الكويت .

٦٥ ـ الصواعق المحرقة ـ ابن حجر الهيتمي ت٩٧٤هـ ـ طبع مصر ـ ١٣٤٢هـ .

٦٦ ـ الصياغة المنطقية للفكر السياسي الإسلامي ـ حسن عباس حسن ـ رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة قسم العلوم السياسية ـ ١٩٨٠م .

٦٧ ـ ضحى الإسلام ـ أحمد أمين ـ طبع النهضة المصرية ـ ١٩٧٨م .

٦٨ ـ الطبقات الكبير ـ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري ت٢٣٠هـ ـ تحقيق : الدكتور علي محمد عمر ـ مطبعة الخانجي بالاشتراك مع الهيئة العامة للكتاب ، مصر ـ ٢٠٠٢م .

٦٩ ـ عقائد الإمامية ـ محمد رضا المظفر ـ مطبعة النجاح القاهرة ـ ١٣٨١هـ .

٧٠ ـ العقد الفريد ـ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ت٣٢٨هـ ـ طبع مصر ـ ١٣٧٢هـ .

٧١ ـ العقيدة والشريعة ـ جولد تسهير ـ ترجمة : محمد يوسف موسى وآخرون ـ دار الكتاب المصري ، القاهرة ـ ١٩٤٦م .

٧٢ ـ علي إمام المتقين ـ عبد الرحمن الشرقاوي ـ دار الزهراء ، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

٧٣ ـ العواصم من القواصم ـ أبو بكر بن العربي المالكي ت٥٤٦هـ ـ

أخرج أحاديثه وعلق عليه : محمود مهري الاستانبولي ـ حقق حواشيه وعلق عليه : محب الدين الخطيب ـ مكتبة السنة ، مصر ـ ١٤٢٠هـ .

٧٤ ـ عوامل وأهداف نشأة علم الكلام ـ الدكتور يحيى فرغل ـ طبع مصر ـ ١٩٧٢م .

٧٥ ـ عيون الاخبار ـ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ دار الكتب ، القاهرة ـ ١٩٢٨م .

٧٦ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب ـ عبد الحسين الأميني ـ دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة .

٧٧ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن ـ أبو الطيب صديق بن حسن القنوجي البخاري ـ عنى بطبعه وقدمه وراجعه : خادم العلم عبد الله بن ابراهيم الانصاري ـ المكتبة العصرية ، بيروت ـ ١٩٩٢م .

٧٨ ـ الفتنة الكبرى ـ الدكتور طه حسين ـ دار المعارف ، مصر ـ ١٩٧٠م .

٧٩ ـ فجر الاسلام ـ أحمد أمين ـ الهيئة العامة المصرية للكتاب ـ ٢٠٠٠م .

٨٠ ـ الفخري في الآداب السلطانية ـ ابن الطقطقي ـ دار المعارف مصر ـ ١٩٧٦م .

٨١ ـ الفرق بين الفرق ـ عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي ت٤٢٩هـ ـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة

العصرية ، صيدا بيروت ـ ١٩٩٨م .

٨٢ ـ فرق الشيعة ـ حسن بن موسى النوبختي ، سعد بن عبد الله القمي ـ تحقيق : الدكتور عبد المنعم الحنفي ـ دار الرشاد ، مصر ـ ١٤١٢هـ .

٨٣ ـ الفصل في الملل والنحل ـ ابن حزم الاندلسي ـ روائع التراث العربي ، مكتبة خياط ، بيروت ـ ١٣٢١هـ .

٨٤ ـ الفصول المهمة في تأليف الأمة ـ عبد الحسين شرف الدين العاملي ـ طبع ايران ـ ١٩٥٦م .

٨٥ ـ الفقه على المذاهب الأربعة ـ عبد الرحمن الجزيري ـ طبع مصر.

٨٦ ـ القاموس الإسلامي ـ أحمد عطية الله ـ طبع دار المعارف ، مصر ١٩٧٠م .

٨٧ ـ الكامل "هامش رغبة الأمل" ـ المبرد ـ طبع مصر ـ ١٩٢٩م .

٨٨ ـ كنز العمال ـ علاء الدين علي المتقي الهندي ت٩٧٥هـ ـ حيدر آباد جمعية دائرة المعارف العثمانية ـ ١٣٦٩هـ .

٨٩ ـ لسان العرب ـ ابو الفضل جمال الدين محمد بن طارق بن علي المعروف بابن منظور ت٧١١هـ ـ دار صادر ، بيروت .

٩٠ ـ لسان الميزان ـ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ .

٩١ ـ مجموع الرسائل الكبرى ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي ت٧٢٨هـ ـ مصر .

٩٢ ـ المدارس النحوية ـ الدكتور شوقي ضيف ـ دار المعارف ، القاهرة ـ ١٩٦٨م .

٩٣ ـ مروج الذهب ـ أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي ـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ طبع دار السعادة ، مصر ـ ١٣٧٧هـ .

٩٤ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت٩١١هـ ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر .

٩٥ ـ المستدرك على الصحيحين ـ الحاكم النيسابوري ـ طبع الرياض ، مطبعة النصر ـ غير مؤرخ .

٩٦ ـ المسند ـ أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١هـ ـ شرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ـ دار المعارف ، مصر ـ ١٤١٣هـ .

٩٧ ـ معجم الأدباء ـ ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ـ طبعة دار المأمون ، مصر .

٩٨ ـ المعجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ، طبع الهيئة العامة المصرية لشؤون المطابع الأميرية ، مصر .

٩٩ ـ مع الشيعة الاثنى عشرية في الاصول والفروع (موسوعة شاملة) ـ الدكتور علي أحمد السالوس ـ دار التقوى ، مصر ـ ١٤١٧هـ .

١٠٠ ـ مقالات الإسلاميين ـ ابو الحسن الاشعري ت٣٢٢هـ ـ طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ١٤٢٠هـ.

١٠١ ـ مقدمة ابن خلدون ـ عبد الرحمن بن خلدون ت٨٠٨هـ ـ مطبعة اللبناني ، بيروت ـ ١٩٦١م .

١٠٢ ـ ملامح القيادات السياسية في القرن الاوّل الهجري ـ الدكتور ابراهيم بيضون ـ دار النهضة ، بيروت ـ ١٩٧٩م .

١٠٣ ـ الملل والنحل ـ أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ـ تحقيق : محمد سعيد گيلاني ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ـ ١٩٦١م .

١٠٤ ـ موسوعة العتبات المقدسة ـ جعفر الخليلي ـ طبع بيروت ـ ١٩٦٥م .

١٠٥ ـ موسوعة النظم والحضارة الإسلامية ـ الدكتور أحمد شلبي ـ طبع نهضة مصر ـ ١٩٧٧م .

١٠٦ ـ ميزان الاعتدال ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ ـ طبع مصر ـ ١٩٦٣م .

١٠٧ ـ نظرية الإمامة ـ الدكتور أحمد محمد صبحي ـ طبع مصر ١٩٦٩م .

١٠٨ ـ النهاية في غريب الحديث ـ ابن الأثير ت٦٠٦هـ ـ تحقيق : محمود الفتاحي طاهر أحمد الزاوي ـ المكتبة الإسلامية ـ ١٣٨٣هـ.

١٠٩ ـ هوية التشيع ـ الدكتور أحمد الوائلي ـ مؤسسة أهل البيت ، بيروت ـ ١٤٠١هـ .

١١٠ ـ الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة ـ جمع وترتيب: عبد الكريم الشيرازي ـ طبع الأعلمي ، بيروت ـ ١٤١٢هـ .

١١١ ـ وفيات الاعيان ـ ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلّكان ـ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ـ النهضة المصرية ـ ١٩٤٨م .

١١٢ ـ وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم ـ طبع مصر .

١١٣ ـ الوقوف على ما في صحيح مسلم من الموقوف ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ ـ تحقيق وتعليق : محمد السيد ابراهيم ـ مكتبة القرآن ، مصر ـ ١٩٨٨م .

١١٤ ـ ينابيع المودة ـ سليمان البلخي القندوزي ـ بيروت ـ ١٩٧٥م .



- الأستاذ محمود جابر السيد سليمان
- ولد عام ١٩٦٩م في محافظة الشرقية ، الزقازيق، مصر
- حامل شهادة ليسانس الدراسات الإسلامية والأصول، جامعة الأزهر
- المذهب السابق : حنبلي
- تاريخ ومكان الاستبصار : مصر عام ٢٠٠٠م
- من مسؤولياته :

مدير المنتدى الفكري بمركز يافا للدراسات ، والمنسق العام في اللجنة الشرقية.

- أهم مؤلفاته :
  - الشيعة البذور والجذور
  - من هم الشيعة ؟
  - دراسات حول الإمام السجاد (عليه السلام) (تحت الطبع)
  - انّه حزب الله (قصة النشأة والصمود والتحرير)
  - ماذا يريد الاخوان المسلمون في مصر؟
  - الأممية والوهابية وتخريب الإسلام



مركز الأبحاث العقائدية